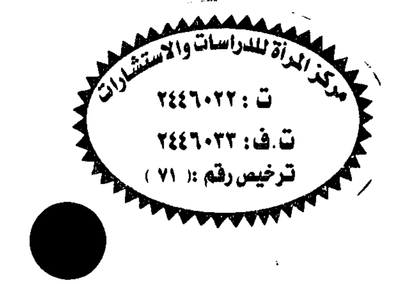


مشكلات
العنوسة
في العالم العربي
محي الدين عبد الحميد
مكتبة الخدمات الحديثة
جدة



مشكلات العنوسة

في العالم العربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشكلات العنوسة

في العالم العربي

إعداد

محيي الدين عبد الحميد

مكتبة الخدمات الحديثة

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

مكتبة الخدمات الحديثة

للنشر والتوزيع، فقط

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مكتبة الخدمات الحديثة

المملكة العربية السعودية -جدة

٤٦ شارع العلماء المتفرع من شارع الصحافة

حي العزيزية

بالقرب من الدفاع المدني ومسجد الأميرة جوهرة

تليفون و فاكس ٦٧٢٦١٦٥

صندوق بريد ١٦٥٣٣٥ جدة ٢١٤٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين... والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله آخر الأنبياء والمرسلين.

فليس قصدنا من هذا الكتاب قصداً مادياً، ولكن ما يهمنا هو أن نضع بين أيدي القراء علاجاً لهذا الداء الذي استشري في هذا الزمان بشكل رهيب بسبب التغالي في المهور إلى هذا الحد العجيب، وتكاليف الزواج التي أصبحت من الأمور التي لا تطاق بحال من الأحوال، والتي صارت تعجيزاً أمام شبابنا المسلم الراغب في الزواج.

نضع العلاج أمام الأسرة المسلمة لتحذو حذو رسولنا في تبسيط أمر الزواج على النحو الذي رسمه لنا رسولنا وقائدنا ﷺ وتخليص المجتمع من عقبات الزواج المدمرة.

ولقد تقصَّينا لهذا الغرض، الأحداث المدونة بالمجلات الإسلامية، والجرائد اليومية، ليكون للواقع تأثير في سلوكياتنا إلى ما هو أجدى وأسلم.

ولقد أوردنا بعض القصص الواقعية عن العوانس، وبعض الدراسات عن العنوسة، من واقع ما كتب في الكتب والمجلات الإسلامية والعربية. وما أردنا إلا الخير لأبنائنا وأجيالنا المسلمة.

والله نسأل أن يسدد خطواتنا، وأن يجزينا خير الجزاء، إنه سميع الدعاء والحمد لله رب العالمين.

محيي الدين عبد الحميد

عنوسة النساء

معنى العنوسة وأطوارها

معنى العنوسة في اللغة:

عنست الجارية عنوساً وعناساً: طال مكثها في بيت أهلها بعد إدراكها، حتى خرجت من عداد الأبكار ولم تتزوج قط وعنسها أهلها تعنيساً فهي عانس.

والرجل الذي أسن ولم يتزوج فهو كذلك عانس[١].

مشكلـة العنوسـة:

مشكلة العنوسة أو بعبارة ألطف مشكلة (تأخر سن الزواج) من الظواهر التي تسترعي الانتباه... وهذه الظاهرة ليست متمركزة في مكان بعينه أو بلد بذاته، بل هي لا يكاد يخلو منها مجتمع، وإن تفاوتت البلاد في حدة هذه الظاهرة أو خفوتها، فقد تفشت تلك الظاهرة في شرق البلاد الإسلامية وغربها فأصبحت بمئات الآلاف من العوانس، بل الملايين، كل منهن يعشن وحشة العنوسة البغيضة ويتطلعن إلى بيت الزوجية الذي تشمله وتحف به التقوى والإيمان.

أكُتِبَ عليهن أن يعشن حياة العنوسة المؤبدة ويقضين جلَّ وقتهن في طي النسيان والحرمان؟ أمخالفة لناموس الحياة؟ أبُعداً عن رسالة المرأة وتكوين البيت المسلم والقيام بتعهده وازدهاره؟ إن في مكثهن عانسات تعرضن لنهش الذِّئاب البشرية، وهمسات من ألْسنة السوء، وافتراءات لا يرضى بها الله ورسوله ﷺ.

---

(١) القاموس المحيط ص (٧٢٢) للفيروزآبادي.

وليس كل هذا بسببهن، أو لعيب يلحق بهن، بل العيب في الآخرين، ويقول القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

إن هذا وضع اجتماعي شاذ، له آثاره الوخيمة على مختلف الأصعدة... سواء كانت اجتماعية أو أخلاقية أو نفسية أو اقتصادية، وقد تؤثر على بعض تلك الجوانب وأحياناً تشملها كلها.

إن هذا أمر لا يُرضي الله ولا رسوله ولا المؤمنين ولا أيَّ إنسان في قلبه ذرة من شيماء وغيرة ونخوة....

أطـــوار العنوســة:

للعنوسة أطوار أو أسباب متفاوتة وعديدة منها ما يرجع إلى الفتاة نفسها وآخر إلى الشباب وثالث إلى الأسرة ممثلة في الأب والأم ورابع إلى الأب وحده وخماس إلى التقاليد الأسرية وسادس إلى عادات المجتمع نفسه، وقبل أن نبدأ في أسباب العنوسة وأطوارها نسأل هذا السؤال «تمهيداً لذلك».

لماذا شرعَ الله الزواج؟[1]

قبل أن أشرع في تبيان العقبات التي تعترض طريق الزواج؛ وقبل أن أبيّن طرق تذليلها على ضوء الإسلام... أحببتُ أن أذكر ـ ولو باختصار ـ الحكمة من الزواج، وفوائده الصحية والخلقية والاجتماعية... عسى أن يعلم شبابنا لماذا شرع الله الزواج ولماذا أمر به في سن مبكرة؟ فلا يجدون بداً سوى أن يقبلوا عليه بوعي جديد، ورغبة صادقة ـ رغم قساوة الظروف ـ إن أرادوا في الحياة إحصان نفوسهم، وسلامة أخلاقهم، وتلبية فطرتهم وغرائزهم... وفي ذلك ذكرى للذاكرين.

[١] ـ المحافظة على النوع الإنساني:

من البديهيات التي لا تقبل الجدل أن الزواج طريق إلى تكاثر النسل الإنساني وعامل أساسي في استمراره وبقائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وقد نوه القرآن الكريم عن هذه الحكمة الاجتماعية البالغة حين قال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

---

(١) بتصرف من كتاب (عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام) ص (١١) عبد الله ناصح علوان.

[٢] ـ المحافظة على الأنساب:

وبالزواج الذي شرعه الله سبحانه يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم، لأن في هذا النسب اعتبارهم الذاتي، وكرامتهم الإنسانية، وسعادتهم النفسية. . . ولو لم يكن ذلك الزواج لعجّ المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب. . . وفي ذلك طعنة نجلاء للأخلاق الفاضلة، وانتشار مريع للفسادِ والإباحية. . . .

[٣] ـ سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي:

وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي، ويأمن الأفراد من الفساد الاجتماعي. . . لأن غريزة الميل إلى الجنس الآخر قد أشبعت بالزواج المشروع، والاتصال الحلال. . . وقد بيّن الرسول ﷺ هذه الحكمة الخلقية حين وجه جماعة من الشباب إلى الزواج بهذا النداء الرائع:

«يا معشرَ الشباب من استطاعَ منكم الباءَةَ[١] فليتزوجْ فإنه أغضُّ للبصر وأحصَنُ للفَرج. . .».

[٤] ـ تعاون الزوجين على تكوين الأسرة وتربية الأولاد:

وبالزواج يتعاون الزوجان على تكوين الأسرة، وتربية الأولاد، وتكاليف الحياة. . . حيث يكمّل كل منهما عمل الآخر: فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها. . . وذلك في الإشراف على إدارة البيت، والقيام بواجب التربية. . . والرجل أيضاً يعمل ضمن اختصاصه، وما يتفق مع طبيعة رجولته. . . وذلك في السعي وراء العيال، والقيام بأشق الأعمال.

وبهذا يتم روح التعاون بين الزوجين، وتتكون الأسرة على أسس من التربية الفاضلة، وينعم البيت بنعمة المودة والرحمة تحت ظلال الحقوق التي وضعها الإسلام.

---

(١) الباءة: القدرة على الزواج والحديث رواه الجماعة.

[٥] ـ سلامة المجتمع من الأمراض:

وبالزواج ينجو المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر نتيجة الزنى وانتشار الفاحشة. . . .

من هذه الأمراض مرض الزهري، وداء السيّلان (التعقيبة) وغيرها من الأمراض الخطيرة. . . التي تورث العُقْم، وتوهن الجسم، وتشوه النسل، وتنشر الوباء. . . .

[٦] ـ السكن الروحي والنفسي:

وبالزواج تنمو بين الزوجين روابط المودة والرحمة، ويسكن كل منهما إلى الآخر، ويجد كل منهما سعادته تحت ظل الآخر.

فالزوج حين يفرغ من عمله، ويركن عند المساء إلى بيته، ويجتمع مع أهله وأولاده. . . ينسى الهموم التي اعترته في نهاره، ويزول من نفسه التعب الذي كابده في سعيه وكفاحه. . . وكذلك المرأة.

وهكذا يجد كل من الزوجين في ظل الآخر سكنه النفسي في ساعة لقائهما، ويشعران بالطمأنينة القلبية، والسرور المتبادل في لحظات اجتماعهما.

وهكذا يستقبل كل منهما اليوم الجديد الذي يلي هذا اللقاء بعزم وحيوية ونشاط. . . لأداء المهمة المكلف بها كل منهما. . . وفي ذلك اضطلاع بالمسؤولية، وتحقيق لسعادة الأولاد والأسرة!!.

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

[٧] ـ تأجيج عاطفة الأمومة والأبوة:

وبالزواج تتأجج العاطفة الفياضة في نفس الأبوين نحو أولادهما، ويشتد سعير الأحاسيس والمشاعر نحو أفلاذ أكبادهما. . .

ولا يخفى على كل ذي عقل ما في هذه المشاعر النفسية من أثر بالغ ونتيجة طيبة في رعاية الأبناء، وتربية الأولاد، والسهر على مصالحهم، والنهوض بهم نحو حياة كريمة، ومستقبل بسّام!!.

بعد الذي ذكرناه من فائدة وحكمة، فلا عجب أن نجد الشريعة الإسلامية الغرّاء قد حضت على الزواج ورغبت فيه....

فلنستمع إلى ما يقوله القرآن الكريم:

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣].

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢][١].

ولنستمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام:

«يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة[٢] فليتزوج فإنَّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطعْ فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٣].

«الدنيا متاعٌ متاعها المرأة الصالحة»[٤].

«أربعٌ من سنن المرسلين: الحنّاءُ، والتعطّرُ، والسواكُ، والنكاحُ»[٥].

«تَناكحُوا تناسلوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم»[٦].

---

(١) **الأيامى**: جمع أيم، وهي من لا زوج لها رجلاً كان أو امرأة، بكراً كان أو ثيباً.
(٢) **المراد بالباءة**: القدرة على الزواج وتشمل الناحية الصحية والمالية والحديث رواه الجماعة.
(٣) **الوجاء**: بكسر الواو ومأخوذة من وَجأ بمعنى قطع، والمعنى: إن الصوم قاطع للشهوة لمن لم يستطع الزواج.
(٤) رواه مسلم وابن ماجه والنسائي.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) رواه عبد الرزاق البيهقي.

الحياء من عرض بناتنا على الآخرين
مـن أهـل الدين تسبّب فـي العنوسـة

لماذا لا نعرض بناتنا على أهل الدين كما كان يفعل الصحابة والتابعون:

يرزق الله البعض ببنت أو ببنيات، وتدور عجلة الأيام حتى يبلغن رشدهن، وقد يرى الأب عن يمينه أو عن شماله فتى ذا خلق قويم، ودين مستقيم وهم كثر ولله الحمد نتيجة للصحوة المباركة التي بدأت تؤتي ثمارها ـ فيتمنى هذا الأب أن لو تقدم ذلك الفتى لإحدى بناته (وهل يتمنى كل أب إلا شاباً مستقيماً لابنته يعرف قدرها، ويقوم بأمرها) بيد أن ذلك لا يتعدى مجرد الأماني وأحاديث النفس. ولأمثال هذا الأب أسوق.

عزيزي القارىء ثلاثة مواقف لمجرد التمثيل لا الحصر:

أولها: ما حكاه الله عن شعيب حين قال لنبـي الله موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ ﴾ [القصص: ٢٧].

ذلك أن شعيباً عرف ما لنبـي الله موسى من عظيم المنزلة حين سمع مقاله، وسبر أحواله. فأراد ـ وهكذا العقلاء ـ أن يكرم إحدى ابنتيه بمثل هذا الزوج الصالح.

ثانيها: ما حفظه لنا التاريخ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض ابنته حفصة على عثمان بن عفان رضي الله عنه فاعتذر، ثم عرضها على أبـي بكر رضي الله عنه ـ فسكت ـ لعلمه أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ـ ثم صارت بعد ذلك أماً للمؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها.

ثالثها: موقف سعيد بن المسيب مع تلميذه وسيأتي ذكره في «المغالاة في المهور» فلماذا لا نكون أمثال هؤلاء إنه الحياء الذي يسيطر على نفوسنا وفي هذا الموضوع أذكر ما يلي:

أعرف داعية إسلامياً في إحدى مدن المملكة، زاره ـ يوماً ـ شاب من خيرة شبابها. فعرض عليه إحدى بناته وبعد وقت قصير شاء الله عز وجل أن يتم زواجه بها، وحسنت عشرتهما والحمد لله.

ثم عرض الشيخ ابنته الثانية على شاب آخر لا يقل في التزامه عن زميله السابق... وكان لا يملك إلا راتبه الصغير، ومنذ أن تم الزواج وسَّع الله في رزقه، حتى أصبح من الأثرياء، ولديه الكثير من الملايين وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

ومن أمثلة هذا كثير.

وهذا رجل آخر أعرفه جيداً كان يعمل في السلك الدبلوماسي ذهب إلى صديق له، وقال له: يا أخي، إني أريد أن أخطب الشاب المسلم فلان بن فلان لابنتي، ولكني خجول من ذلك، وإني أحب هذا الشاب في الله وأتمنى أن يكون زوجاً لابنتي.

فقال له صديقه، لا تقلق سأقوم بهذه المهمة خير قيام إن شاء الله، ثم استدعى الشاب وحدَّثه في هذا الأمر وقال له: إنك تعرف صلتي بأبيك وأنت كابني تماماً، لماذا لا تتزوج حتى الآن؟

قال له: إني أبحث عن عروسة ولكني لم أجد بغيتي للآن، فقال له: قص عليَّ من وجدت؟ فقال: وجدت فلانة، جميلة ولكنها غير متدينة، ووجدت فلانة متدينة ولكنها غير مثقفة، ووجدت فلانة جميلة ومتدينة ولكن أهلها لا يريدون زوجاً مثلي بل زوجاً خيالياً يتخيلونه، ووجدت فلانة، ولكن أهلها اشترطوا الفيلا والسيارة و... و... و... الخ.

قال له: هل تُوكلني في البحث لك عن عروسة؟

فقال له: أنت كأبـي ولا أرى مانعاً يمنعني من ذلك.

فقال له: مُرَّ عليَّ بعد أسبوع، وسيوفقني الله لاختيار عروسة لك إن شاء الله.

وبعد أسبوع مرَّ عليه فقال له: وجدتها لك، وجدتها وأسأل الله التوفيق، فابتهج صاحبنا وقال: من هي؟

فقال له: هي فلانة بنت فلان وهي مثقفة وجميلة «وست بيت ممتازة».

فقال: وهل يرضون بـي؟

فقال له: لا عليك، سأكلم والدها وهو صديقي وعلى الله التوفيق واتفقا على اللقاء بعد أسبوع، وبعد أسبوع طمأنه الشيخ على أن والدها قد وافق، واتفقا على ميعاد ليرى الشاب العروسة الرؤية الشرعية وتم اللقاء، وتم الاتفاق، وتم العرس، وفتح الله على ذلك الشاب، وأصبح من المرموقين في مجال عمله ورزقه الله ذرية صالحة من البنين والبنات، وكان من الموفقين والحمد لله في حياته الزوجية.

فالخجل في مثل هذه الأمور مضيع لفرص كثيرة.

الخجل الاجتماعي
لدى بعض الأسر[1]

نجد أن كثيراً من الفتيات، يتجاوزن سن الزواج ولا يتزوجن، لأن أهل الفتاة يعارضون أن يرى الخاطب ابنتهم قبل الزواج، وهذا مخالف لديننا الحنيف، الذي يدعو إلى الوضوح والصراحة، فقد حث رسول الله ﷺ المسلمين على ضرورة أن يرى الخاطب مخطوبته عند الخطبة، لأنهما سيقدمان على خطوة تحدد علاقتهما المستقبلية، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خَطَبَ أحدُكم المرأةَ فإن استطاع أن ينظرَ منها إلى ما يَدْعوه لنِكَاحِها فلْيفعل**».

قال جابر: «فخطبت امرأة من بني سلمة فكنت أختبىء لها حتى رأيت منها بعض ما دعاني إليها»[2].

وكذلك حث الإسلام على ضرورة نظر المرأة إلى مخطوبها، فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها.

يقول عمر: «لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن».

ويقول رسول الله ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مجندة فَمَا تعَارَفَ منها ائتلف، ومَا تناكر منها اخْتَلَف**»[3].

---

(١) مجلة منار الإسلام ص (١١٣)، للأستاذ/ رفعت محمد طاحون.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم.

وفي نفس الوقت فقد حرم الإسلام الخلوة بالمخطوبة أو الخروج معها بدون محرم، لأنها محرمة على الخاطب حتى يعقد عليها.

فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يخلوَنَّ بامرأةٍ ليس معها ذُو محرمٍ فإن ثالثهُمَا الشيطَان**»[1].

(١) رواه جابر عن رسول الله ﷺ.

العنوسة
ليست حالة خاصة بالمدرسات[1]

إن العنوسة ظاهرة لا ننكر أنها منتشرة، وخصوصاً في هذا الوقت... والعنوسة ليست حالة خاصة بأحد دون آخر لكنها على مختلف الفئات، فلا نقول إن هذه العنوسة خاصة بالمدرسات دون غيرهن من بنات حواء، فإن قلنا ذلك لقد جانبنا الحقيقة.

فالعنوسة واقعة، فيها المتعلمة وغير المتعلمة، المدرسة وغير المدرسة، والموظفة وغير الموظفة، كل هذه الفئات يوجد من بينهن من وقعت في دائرة العنوسة. إذن عنوان العنوسة تقع تحته كل هذه الفئات، غير أن لكل فئة من هذه الفئات الأسباب التي أدت إلى بقائهن في هذه المرحلة، ولعلنا نأخذ المعلمة كنموذج لأنها مدار حديثنا والأسباب المؤدية إلى وصولها إلى هذه المرحلة فنقول:

إن البعض منهن يأتي من يخطبها وهي في المرحلة الثانوية أو ما قبل الثانوية، فيُرفض هذا الشخص من الأهل بحجة إكمال الدراسة، حتى ولو كان هذا الشخص على خلق ودين، فإن هاتين الخصلتين قد لا يتم توفرهما فيما بعد في المتقدمين، وليس إكمال الدراسة سبباً مُقْنعاً للرفض، فالدراسة لا تتعارض مع الزواج... فكم من إمرأة واصلت دراستها حتى حصلت على دراسات عليا، والشواهد عديدة، والمجتمع يزخر بالعصاميات منهن.

---

(١) جريدة المدينة، العدد (١١٨٦٦) الصادر في يوم الأحد ٧ جمادي الأولى سنة (١٤١٦هـ) الموافق (١) من أكتوبر (١٩٩٥م).

إن من المحزن أن تفوت الفتاة على نفسها زوجاً على خلق ودين، والأهل لا شك أنهم مسؤولون أمام الله عز وجل عن هذه الأمانة التي بين أيديهم قال رسول الله ﷺ: «**إذا جَاءكم من ترضوْن دينَه وخلقه فزوجوه**» أو كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام[1].

وبعد أن تكمل الدراسة وتعين في التدريس يتقدم إليها شباب صالحون لكنها ترفض بحجة أن هؤلاء متزوجون، وكل من يتقدم يُرْفض حتى تصل إلى مرحلة لا يتقدم إليها إلا كبار السن... عندها تقبل منهم إنقاذاً لما تبقى من سنوات الإنجاب وقتل الوحدة.

ومنهن من ترفض وتبقى في هذه المرحلة.

أتمنى ومن كل قلبي أن يوفق الله شبابنا وفتياتنا إلى زوجات وأزواج صالحين إنه سميع عليم.

---

(١) رواه الترمذي.

المغالاة في المهور

ولنبحث الآن عن أهم هذه الأسباب والمؤثرات التي وقفت عقبة كؤود في طريق الزواج، ودفعت الشباب إلى حياة الترهل والانحلال والمجون... عسى أن يتنبّه لها أولو الأمر، وعلماء الاجتماع، وأرباب الصحف والأقلام... فلا يجدون بداً سوى أن يتعاونوا على إزالتها والقضاء عليها، بل أن يعملوا جادين على استئصالها، واقتلاع جذورها، إن أرادوا تحقيق الخير لبني الإنسان، وإنقاذ الجيل من عوامل الفساد والإباحية!!.

وأهم العقبات التي وقفت في طريق الزواج، وزادت في مشكلة العزوبة، وصرفت الشباب إلى حياة العزلة والانطوائية هي:

الغلاء في المهور(١) :

كثير من الناس اليوم انحرفوا عن الإسلام الصحيح، وأصبحوا ينظرون إلى تزويج بناتهم نظرة مادية بحتة ـ كما ينظر التاجر إلى سلعته التجارية التي يتوخى منها الربح العظيم والمكاسب الكثيرة ـ دون التعرف إلى القيم الأخلاقية، والاعتبارات الدينية التي بها تيسير سبل الزواج وتأسيس دعائم الأسرة....

فالأب الذي عنده فتاة جميلة، أو توظفت في وظيفة، أو نالت حظاً من شهادة... تملكه نشوة الاعتزاز، وتداخله حماقات العجب والغرور، فحين يتقدم خاطب ليخطب ابنته، فإن رضي أن يكلمه كلّمه بلهجة المستعلي المستكبر، وإن وافق على زواجه طلب من المهر

---

(١) بتصرف من كتاب «عقبات الزواج» للأستاذ عبد الله علوان ص (٤٠).

والتكاليف ما يثقل كاهل الخاطب، وينوء عن حمله فضلاً عن دفعه وتقديمه!!.

وقلما يتحقق مع هؤلاءِ النمط من الناس تفاهم، أو يتم مع هؤلاء النماذج مِن الآباء زواج... اللهم إلا إذا تنازل الخاطب عن شخصيته، وحمّل نفسه فوق طاقته... فعندئذ يخضع لكل أمر، ويستجيب لكل مطلب!!.

إن هؤلاء الآباء والأولياء... الذين يقفون مثل هذه المواقف المشينة في تعقيدات الزواج، ويغالون في المهور فوق حد المعقول والتصور... قوم ظالمون ومستبدون وأنانيون...

قوم لا يحسبون حساباً لهذا الوقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ولا يقدرون النتائج الخلقية، والمفاسد الاجتماعية التي تنجم عن كساد سوق الزواج...

قوم حكمت عليهم نفوسهم الظالمة، واستبدادهم الغاشم بأن يحُولُوا دون تقدم الأمة في أخلاقها، ورقي المجتمع في سموّ روحه، ومكارم آدابه...

قوم استهواهم بريق المادة الخداع، واستحكمت فيهم أعرافٌ ما أنزل الله بها من سلطان... فلا يزوّجون إلا من يدفع لهم مهراً أكثر، وثمناً أغلى!!...

قوم ابتعدوا عن روح الشريعة الإسلامية الغراء، وعن جوهر الدين الحنيف... حتى أضحوا لا يفهمون من الدين إلا اسمه، ولا يعرفون من الإسلام إلا رسمه!؟.

قوم لم يأخذوا بمنهج الإسلام: **«إذَا جاءكم من ترضوْن دينه وخلُقه فأنكِحُوه إلا تفْعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريض»**[1].

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

أين هذا من تعاليم الإسلام ووصايا النبي ﷺ في التساهل بالمهور، والتسامح مع الخاطب المسلم ذي الخُلق والدين؟!!.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أن يزوجه امرأة فقال عليه الصلاة والسلام: «**فهل عندك من شيء؟**» فقال: لا والله يا رسول الله. **فقال**: «**اذهب إلى أهلك هل تجد شيئاً؟**» فذهب ثم رجع فقال: لاوالله ما وجدت شيئاً!!. **فقال رسول الله ﷺ**: «**انظر ولو خاتماً من حَديد**». فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري فلها نصفه!!. فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما تصنع بإزارك؟ إن لَبِسْتَهُ لم يكن عليها منه شيء وإذا لبستْه لم يكن عليك منه شيء!!**»..

فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ مولياً، فأمر به فدُعي له، فلما جاء **قال**: «**وماذا معكَ من القرآنِ؟**» قال: معي سورة كذا، وسورة كذا... عدّدها. فقال: «**تقرؤهُنَّ عن ظهْرِ قلبك؟**» قال: نعم. قال: «**اذهبْ فقد زوّجْتكَهَا بما مَعَكَ من القرآنِ**»[1].

(أي كان المهر أن يعلّمها ما يعلَمُه من القرآن الكريم).

روى مسلم في صحيحه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إني تزوجتُ امرأة من الأنصار. فقال عليه الصلاة والسلام: «**على كم تزوّجْتَها؟**» قال: على أربع أواق!!. فقال ﷺ: «**على أربع أواقٍ؟ كأنَّمَا تَنحتُونَ الفضَّةَ مِن عُرْض هَذا الجبَل!!... ما عِنْدَنَا ما نُعْطِيكَ، وَلكن عَسَى أنْ نَبْعثَكَ بعثاً تُصِيبُ منه...**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٢) أي اثنتي عشرة أوقية من فضة... وهذا هو الحد الأعظم وقد يكون المهر أقل من ذلك، والاثنتا عشرة أوقية تساوي اليوم من الغرامات (٣٤٠) غراماً على وجه التحديد. وهذا ليس بكثير. رواه مسلم في صحيحه.

وروى الإمام أحمد، وأصحاب السنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لا تُغالوا في صَداقِ النساء (أي مهورهن) فإنَّها لو كان مكْرمةً في الدنيا أو تقوى عند الله كانَ أولاكُم بها النبـيُّ ﷺ ما أصْدَقَ رسُولُ الله ﷺ امرأة من نسائِهِ، ولا أصْدِقَتْ امرأة من بناته أكثر من اثنَتَيْ[1] عشرة أوقية».

وروى ابن حِبّان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من خيرِ النِّسَاءِ أيسرهُنَّ صَدَاقاً**» (أي مهراً)[2].

وأخرج أحمد والبيهقي مرفوعاً:

«**أعظمُ النساءِ بركةً أيسرُهُنَّ صداقاً**». (أي مهراً)[3].

وذكر الألوسي في تفسيره حديثاً روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يُمْنُ المرأة تَسْهيل أمْرِها في صَدَاقِها**»[4].

وذهب كثير من أهل الحديث، والشافعي، وأحمد بن حنبل أن المهر يجوز بقليل المال وكثيره.

والذين ذهبوا إلى تحديد المهر كفقهاء الحنفية قالوا: «أقل المهر عشرة دراهم» أو ما يساويها.

ولو نحن استقرأنا التاريخ، ونقبنا عن أخبار السلف... لرأينا العجب العُجاب في التساهل بالمهور، واختيار الزوج الكفء الصالح.

وإليكم ـ أيها الآباء ـ طاقة من مآثرهم، وحسن فعالهم:

لما نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٣) أخرجه أحمد والبيهقي مرفوعاً.

(٤) روته السيدة عائشة عن رسول الله ﷺ.

وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

امتثل النبي ﷺ أمر ربه فاختار لابنته فاطمة رضي الله عنها صاحب الدين والخلق والشجاعة علياً كرم الله وجهه، وكان صداقُها ما قيمته أربعة دراهم.

وها هو ذا سعيد بن المسيب رضي الله عنه كبير علماء عصر التابعين ينزل عند أمر ربه، ويقتدي برسول الله ﷺ في اختيار الكفء دون أن ينظر إلى الجاه والمال، فالذي اختاره ليكون زوجاً لابنته (وهو عبد الله بن أبي وَدَاعة) طالب العلم الفقير!!.

ولنستمع إلى ابن أبي وداعة ليروي لنا هذا الزواج السعيد يقول: «كنتُ أجالس سعيد بن المسيب، فتفقّدني أياماً فلما أتيتُه، قال: أين كنت؟ قلتُ: تُوُفِّيتْ زوجتي فاشتغلت بها. قال: هلا أخبرتَنا فشهدناها؟ ثم أردتُ أن أقوم، فقال: هلا استحدثْت امرأة؟ فقلتُ: يرحمك الله ومن يزوّجني، وما أملك سوى درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا!!. فقلتُ: وتفعل؟ فقال: نعم.

فحمد الله تعالى، وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين... ثم قمتُ وما أدري ما أصنع من الفرح؟

فسرت إلى منزلي، وجعلت أفكر ممن أستدين؟، فصليت المغرب، وانصرفت إلى منزلي، فأسرجت (أي أشعَل السراج) فقدمتُ عَشائي وكان خبزاً وزيتاً، وإذا ببابي يقرع، فقلت: مَن هذا؟ قال: سعيد. ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له شيء. فقلتُ: يا أبا محمد لو أرسلتَ إليّ لأتيتُك. فقال: لأنت أحق أن تُؤتى!! قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنتَ رجلاً عَزَباً فتزوّجتَ فكرهت أن أبيّتَك الليلة وحدك، وهذه امرأتُك، وإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها، فدفعها في الباب ثم انصرف.

فاستوثقتُ من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتُها في ظل السراج لكيلا تراه، ثم صعدتُ السطح فرميتُ الجيران فجاؤوني، وقالوا: ما شأنك؟

قلتُ: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها الليلة على غفلة!!. فقالوا: أَوَ سعيد زوَّجك؟ قلتُ: نعم.

فنزلوا إليها، وبلغ ذلك أمي، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مَسَسْتَها قبل أن أصلِحَها لك إلى ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً ثم دخلتُ بها، فإذا هي أجمل النساء، وأحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج.

ثم مكثتُ شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيتُه وهو في حَلْقَته فسلمت عليه فرد عليّ السلام ولم يكلمني حتى تفرّق الناس؟

فقال: ما حال ذلك الإنسان؟ فقلت: بخير يا أبا محمد.

ثم انصرفتُ إلى منزلي، فوجّه إليّ بعشرين ألف درهم...».

قال «عبد الله بن سليمان»: وكانت بنت سعيد هذه قد خطبها الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاّه العهد، فأبى سعيد أن يزوجها إياه مع وفرة الغنى والجاه.

والإمام السمرقندي الفقيه الحنفي صاحب كتاب «تحفة الفقهاء» شرح تلميذه «علاء الدين الكاساني» تحفته، فزوجه الإمام ابنته على صداق يسير، دراهم معدودات.

ومن المواقف التي كان يقفها العلماء أمام العامة في غلاء المهور موقف أبي بكر بن اللباد رحمه الله.

لما ترجم ابن الدباغ في «معالم الإيمان» العالم القيرواني الشيخ أبي بكر بن محمد بن محمد بن اللباد المتوفي سنة ٣٣٣هـ قال في

(٣/ ٢٥): حكى أن شوَّر (أي أمهر) ابنته بشُوار كبير حسن عجيب، فعجب الناس، وحضر أبو بكر بن اللباد، فانصرف الناس ليهنّئوا صاحب الشّوار فقال له أبو بكر: لا أخلف الله عليك بخير!!. فقد أكمدت جارك (أي أحزنته). وأعضلْت ابنتَه (أي سبَّبت كسادها). وخالفت سنة رسول الله ﷺ.

والذي أخلص إليه بعدما تقدم: أن الحل العملي الذي يرتئيه الإسلام لمشكلة المغالاة في المهور هو أن يقدِّر الآباء والأولياء... مصلحة المجتمع من الفساد، ومصلحة الشباب من الانحلال، ومصلحة البنات من السقوط... ثم ينهجوا نهج السلف الصالح في تساهلهم بالمهور، واختيار الخاطب المؤمن، والقرين الخلوق... لبناتهم... تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ القائل: «**إذا جاءكُم مَن ترضَوْن دينَهُ وخلُقه فزوّجُوه إلا تفعَلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريض**»[1].

فحذار ـ أيها الآباء والأمهات ـ أن تكونوا سبباً في إعضال بناتكم وكسادهن حتى لا يعشن في المجتمع عازبات عانسات... تساهلوا بالمهور حتى يجد الشباب الطريق إلى الزواج مذلّلاً سهلاً.

فتشوا عن الخاطب الصالح، والزوج المسلم... تأسياً بالسلف الصالح... عسى أن تروج في المجتمع سوق الزواج.

إنكم إن فعلتم ذلك فستكونون قد أرضيتم ربكم، ونفذتم سنة نبيكم، وأنقذتم المجتمع من براثن الفساد والانحلال، وخلصتم الشباب والشابات من داء العزوبة البغيضة، والرهبانية الأليمة... والله سبحانه لن يَتِرَكُمْ أعمالكم.

إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض!!.

ولقد أورَدَتْ جريدة «المسلمون» مقالاً بعنوان:

---

(١) رواه الترمذي.

إسراف ومغالاة... والنتيجة عنوسة[1]

(أ) ارتفاع المهر لا يساعد على بقاء الزوجية.

(ب) والإسراف أدى إلى فشل كثير من الزيجات.

أخـي القـارىء:

برغم العنوسة المنتشرة في كثير من البلدان العربية... وذلك لأسباب كثيرة... منها:

أسباب اجتماعية... إلا أن كثيراً من الأسر تتقوقع على نفسها ولا تختلط أو تتعرف، ربما على الأسر المجاورة لها!!.

وأسباب مادية... فالضائقة الاقتصادية أغلب الدول النامية تنعكس على الواقع المعاش لكثير من الأسر ولديها أبناء وبنات في سن الزواج. والمغريات الكثيرة، والمطبوعات الفاضحة التي تتسلل إلى أيدي الشباب والناشئة بطرق مشبوهة وتأثيرها اللاّأخلاقي عليهم، والقنوات الفضائية التي تبث برامجها إلى البلاد الإسلامية من دون أي برمجة مقننة من قبلها لتنقية المواد المرسلة من البرامج المشبوهة والتي تؤثر بفعالية على أخلاقيات الشرق المسلم.

كـل هـذه الأسبـاب مجتمعـة ـ والتـي تهـدد مستقبلنـا الأسـري والاجتماعي بوجه خاص ـ هي دعوة مفتوحة لكي تتضافر الجهود لتزويج الشباب وتحصينهم ضد التيارات اللاّأخلاقية المحيطة بهم. وفي المقابل... نجد ما يحدث في أغلب الأحوال هو العكس فكثير من الأسر تتشدد في مطالبها وشروطها التعجيزية إذا جاءهم من يطلب الزواج من ابنة لديهم بحجة تعزيزها وعدم التفريط بها!!.

---

(١) المسلمون العدد (٥٩٢) الصادر في (٢١) محرم سنة (١٤١٧هـ) الموافق (٧) من يونية (١٩٩٦م).

أم لجين... من جدة ـ ترصد للمسلمات بعضاً من مظاهر الإسراف والمغالاة في أثناء تجهيز العروس والزفاف... تقول: العروس عندنا تحصل على مهر كبير يحدده والدها مسبقاً... هذا المهر يخص العروس فهي تقوم بشراء الذهب الخاص بها، وشراء كميات كبيرة من الملابس لتظهر بالمظهر اللائق أمام أهل العريس وأمام صديقاتها أيضاً.

ومن عادات بعض القبائل والعائلات أنها تحدد «رضوة لأم العروس» وهي إما مبالغ من المال أو كسوة، وقبل كل ذلك يسعى الزوج إلى إكمال بيت الزوجية من الألف إلى الياء. سواء بماله الخاص أو بالاستدانة، وفي أغلب الأحوال يلجأ إلى الدين لسداد متطلبات الزواج... وبعده يجد نفسه وسط دوامة الديون المطلوب سدادها، والقليل منهم من يوفق بين راتبه وبين ما يستدينه حتى يقدر على السداد وبعد انتهاء مراسيم الزواج.

لطيفة... تكمل الحديث وتلتقط من أم لجين طرفه... تقول عمري ٢٣ عاماً مخطوبة ومولودة بجدة من أصل حضرمي.

وتضيف... أنني صريحة ولا أحب أن أكذب... لقد أمهرني ٥٠ ألفاً وهو ما أعتبره قليلاً قياساً على ما نسمعه من العوائل الأخرى الذين أخذوا في بناتهم مهوراً أكثر من ذلك... إنني مقتنعة أنه كلما كانت العروس غالية كلما حافظ عليها... لأنها كلَّفته الكثير وستكلفه أكثر إذا فكر في التفريط بها!! وفي هذه الأيام الطلاق منتشر لأن العريس يتزوج عروسة رخيصة فعند أول خلاف بينهما أو أنها ما أعجبته بعد الزواج يرجعها لأهلها بكل سهولة ويتزوج بأخرى، ولما سألتها كم تأخذ هذه العروس الرخيصة من مهر؟ أجابت عشرون ألفاً!!.

وتضيف... بعد أن يعطينا المهر هو مكلف بكل شيء بتجهيز بيت الزوجية كاملاً.

وفيها يقوم العريس بإهداء العروس طقم ذهب هدية وخواتم وساعات وعباءة وبخوراً وعطوراً وأكسسوارات وصندوقاً خشبياً مذهباً وقد وضع فيه المهر ٥٠ ألفاً بالكمال والتمام.

بخلاف ما يشترطه أهل العروس من اختيار قصر معين لحفلة العرس، وحتى بطاقات الدعوة يشترطون فيها شكلاً معيناً!!.

بعد حفلة العقد ودفع المهر يجيء دور أهل العريس... فأحياناً يشترطون مبلغاً معيناً للذهب تأتي به العروس من داخل المهر نفسه وفي الغالب يصل إلى ٢٥ ألفاً وأشياء أخرى يشترطونها فإذا لم يأت أهل العروس بها انتقدوهم، وثمة عائلات لا تسأل بماذا جاءت العروس، وهناك أسر تساعد العريس في حفلة العرس بأن تناصفه تكلفة الحفلة كاملة، وهناك من لا يساهمون مطلقاً، وأحياناً يقوم عم العريس بتكلفة الحفلة هدية لابن أخيه وهو ما يخفف عنه كثيراً.

وكان من ضمن المفارقات التي شملها هذا التحقيق أن العروس في بعض البلدان العربية بالرغم من مناصفتها للخاطب في تجهيز بيت الزوجية ـ وليس مطلوباً منها شرعاً ـ تتكبد مصاريف أخرى مرهقة قبل الزفاف وبعده!!.

هذا ما أكدته أية (زوجة) من إحدى محافظات الوجه القبلي بمصر... ومقيمة في جدة تقول «إن العروس تظل تعمل طيلة أربعة عشر يوماً في عمل الكعك الناعم المكلف جداً لأنه يعجن بالسمن البلدي وهو ما غلا ثمنه لتوزيعه على الجيران»!!.

والأدهى... أن أهل العروس أيضاً يتكبدون بعد الزفاف مباشرة تكلفة طعام غذاء يكفي بيت العريس وضيوفه يومياً ولمدة ٧ أيام... وكما يقولون حتى «يوم السبوع»!!.

وبرغم أن ثمة صوراً قاتمة «للزواج بالدين»!! إلا أنه ثمة صور

مشرقة لزيجات مباركة كانت العادات والتقاليد فيها قريبة جداً من العرف الإسلامي الميسر عند طلب الزواج.

أم محمد... أردنية مقيمة بالسعودية تسرد للمسلمات كثيراً من مظاهر الفرح والبهجة في حفلات العرس عندهم تقول: من عاداتنا أن الخاطب يدفع مهر العروس «فريضة» لها وهو حسب قدرته، وعند المشقة يرفع عن كاهله كي يقدر على متطلبات الزواج الأخرى... والعروس ليست مطالبة بشيء، وهي تنفق من المهر الذي أخذته على ملابسها الخاصة وهي تخرج من بيت والدها بـ«شنطة الأواعي» ولا نخشى في ذلك القيل والقال... لأن هذا تقليد سائد.

وتضيف... وكلما زادت قدرة الزوج يأتي بكل ما هو مطلوب منه لعروسه وهذا شيء متعارف عليه والشيء الجميل الذي أحب أن أذكره أن هناك عادات حميدة تريح الخاطب بشكل كبير حتى أنها تحفزه على العجلة بإنهاء الخطبة والدخول في «الزوجية».

منها أن إخوان العريس وأقرباءه وأحبابه يهدونه كل ما يحتاجه في بيت الزوجية من كماليات ضرورية كالثلاجة والغسالة، وأطقم المطبخ... إلى آخره، فكل واحد منهم يأتي بما في استطاعته بدلاً من إعطائه هدايا رمزية بعد الزواج.

ومن المغرب... حدثتنا ثناء (مدرسة لغات) ومقيمة بجدة عن عادات الزواج بالمغرب الشقيق تقول: الزواج بالمغرب له طقوس خاصة مميزة وإن كانت تتسم باليسر والتخفيف على كلا الطرفين فليس هناك شيء مفروض على الخاطب أو المخطوبة... وأهم شيء هو التوافق بين الطرفين كي يبحرا معاً بسفينة الزوجية في هناء وسعادة.

ويضيف... بعض أولياء الأمور قد غضوا الطرف عن المهر... إذا كانت إمكانات الزوج لا تسمح به لأنه المسؤول عن بيت الزوجية أولاً وأخيراً.

والعـروس لا تتكلـف شيئـاً سـوى مـلابسهـا وبعـض الأشيـاء الخفيفة. . . وثمة بعض الكماليات تهدى إلى العريس وبخاصة أطقم المطبخ.

أما عن تجربتها الشخصية في الزواج فتقول: كان زواجي ميسراً إلى حد كبير. . . فقد تزوجنا ونحن طالبان فقيران ندرس في أمريكا وكان والدي يصحبني في أثناء الدراسة. . . ولم يشترط عليه ولم يطلب منه لعلمه مسبقاً أنه طالب فقير جاء للدراسة ولأن والدي حسن إسلامه. . . فلما تقدم إليه من يطلب ابنته لم يشأ أن يرفضه لفقره فقط، طالبه أن يحسن إلى ابنته كما أحسن إليه وزوَّجه وهو فقير. . فقد تزوجنا على أثاث بسيط وأقمنا حفلة عرس كان المدعوون فيها عدد قليل من زملاء الدراسة.

ولأن العادات والتقاليد في كثير من حفلات العرس التي شمل بعضها هذا التحقيق. . . كانت متقاربة أو متباينة. . . فإن واقع تلك التجارب الحية لهذه الزيجات الميسرة أحياناً والباهظة التكلفة أحياناً أخرى. . . يعوزنا أن ننشد الحلول الواقعية للقضاء على المشكلات اللا أخلاقية الناجمة عن تشدد بعض أولياء الأمور على طالبي التحصين والإعفاف!!.

دكتورة آمنة نصير. . . «عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر فرع الإسكندرية» تعقب على هذه العادات فتقول: لا بد لأولياء الأمور من العودة إلى المنهج الإسلامي الأصيل وهو أن نخرج من هذه العادات السيئة في المبالغة في الأمور والمبالغة في المظاهر التي وفدت إلينا وليست من شرعنا الحنيف، وأن نعود إلى الهدف الأصيل من الزواج وهو ستر أعراض بناتنا وحماية أخلاق مجتمعاتنا.

والعودة إلى التطبيق الإسلامي لصيانة الكيان الأسري. وعند هذه الحقائق لا بد أن يهون كل شيء في مسألة المظاهر، أو المسألة التي

تسربت إلى نفوس بناتنا بأنه بغلاء المهور يحجم الرجال عن الطلاق أو عن تكرار الزواج!! وهذه أكذوبة لا أساس لها، فهناك أسس أقوى وأعظم في تثبيت أوضاع الأسرة بعيداً عن اللجوء إلى هذا القيد المالي الذي انعكس على بيوتنا وعلى شبابنا بشكل سلبـي أضحى واضحاً للعيان.

فبِالرغم من غلاء المهور إلا أن الطلاق منتشر... وظاهرة تعاني منها الآن كثير من المجتمعات، وبالنسبة للمظاهر التي تأكل اقتصادنا وشقاء شبابنا جعلت شبابنا يفكر بالزواج من بنات الخارج وهو ما يضر أكثر مما ينفع، فأقل القليل من هذه الزيجات يكتب لها النجاح وتستمر وعلينا أن ننظر في الهدي الإسلامي الحنيف الذي قبل مهر إحدى النساء حفظ بعض آيات من القرآن الكريم. لأن الدستور الإسلامي ليس مجرد ترديد شفوي، وإنما لا بد أن نمارسه ممارسة عملية وفعلية.

ومن بين أهم هذه الممارسات الفعلية:

أن نصون شبابنا وبناتنا من الانزلاق في مهاوي الرذيلة بسبب غلاء المهور والحرص على المظاهر.

وأن نعود إلى المنهج الإسلامي الحق الذي دعا إلى الوليمة ولو بشاة والمهر ولو بخاتم من حديد.

التغالي في تكاليف الزواج

الواجب أن نفهم أولاً ما شرعه الإسلام في نفقات العقْد والزفاف.

لقد شرع الإسلام في نفقات العقد والزفاف المهر والوليمة لحفلة العرس، وإكرام الضيف بما يناسب الحال.

ولكن الناس ابتدعوا عادات سيئة من النفقات على ما يسمونها بالهدايا وهي مكلفة وما أنزل الله بها من سلطان.

فهذه الأنمطة إنما هي عقبات وعراقيل في طريق الزواج توضع أمام الخاطب حتى يتعثر في زواجه، وقد تكون سبباً في عثرته ولا تقوم له قومة تفكير في الزواج، إنها من أعراف المجتمع المستحكمة التي تخيم على عقول الاباء بل يمكن أن نسميها هي العراقيل الممهدة للعنوسة للرجل والمرأة، بفرار الرجل وندمه على التفكير في الزواج مخالفاً سنة رسول الله ﷺ القائل: **«تَنَاكَحُوا تَكْثُرُوا فإِنِّي أُبَاهِي بكُمُ الأُمَمَ يومَ القِيَامَةِ حتى بالسِّقْط»**[1].

والشاب ليس عليه شيء فهو مُجبر أمام مطالب الأب أو ولي أمر الفتاة من نفقات وهدايا باهظة التكاليف.

وقد يتعلل الأب بأن شرط النكاح والاستطاعة لقول رسول الله ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ من اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِع فَعَلَيْهِ بالصَّوْم فَإِنَّه له وِجَاء»**[2].

إن هذا تشويش في فكر الأب فهل معنى الاستطاعة التعجيز، وهل معنى الاستطاعة مدَّ اليد للاستدانة، ويعيش الخاطب ـ يوم أن يكون

---

(١) رواه أبو بكر بن مردويه بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري.

زوجاً ـ أعباء الدَّين. . . إنها مأساة الآباء يجني ثمرتها الأبناء، فتمر عليهم الأيام والسنون كالحة أمام تجمد الأب في طلب النفقات الكثيرة والتي لا يقدر عليها الشباب.

لماذا لا يجعل الأب هذا النكاح لله حتى يظفر في دنياه بمساعدة بناء أسرة إسلامية، ويظفر في آخرته بالجنة لرضاء ربه ونبيه.

يقول المصطفى ﷺ: **«من نَكَحَ لله وأنْكَحَ لِلَّه اسْتَحَقَّ ولاَيَةَ اللَّهِ»**[1].

ومن التكاليف المثْقِلَة هدايا الخطبة، وهدايا المواسم والمناسبات وهدايا صبيحة العرس، ونفقات حفلات العقد، ونفقات حفلات الزفاف، ونفقات المهنئين، ونفقات الولائم وذبح الذبائح في الأيام التي تلي صبيحة العرس. . . إلى غير ذلك من هذه التكاليف التي يحسب لها ألف حساب.

هدايا الخطبة. . . أصبحت كأنها مقننة، بل في بعض البلاد يسمونها «بالشبكة» وأصبحت كالمهر يُتفق عليها، لقد طالب الرسول ﷺ الخاطب الذي يريد الزواج بالبحث عن خاتم من حديد، أما اليوم فهدايا الخطبة لا تقل عن خاتم من أنفس المجوهرات ومن أعلاها قيمة، ولا ينسى الخاطب «**الرشرش**»، «**والحزام الذهبي**»، «**والأساور المرصعة**»، «**والقرط المماثل للخاتم**»، «**والساعة المزدانة بالأحجار الكريمة**». . . إن أقل الناس معيشة لا يتنازلون عن «**الرشرش، والأساور الذهبية في اليدين أو الرجلين**»، وهي تلبس في الرِّجل وتسمى في بعض البلاد «**بالخلخال**». . . هذه بداية.

والإسلام لا يرضى بهذه البداية وإنما البداية التي يرضاها من ترضون دينه وخلقه.

---

(١) رواه أحمد.

ثم تأتي البقية، فتأتي الأعياد فيسارع الخاطب إلى تقديم الهدايا، وإذا لم يفعل ذلك، فَيُرمى بالبخل وربما كان عدم تقديم هدايا الأعياد والمواسم سبباً في رفضه وإبعاده عن طريق الخطبة.

أما حفلات العقد فتقام فيها الولائم، وتذبح فيها الذبائح، وتقدم الهدايا ـ من ذهب ـ إلى الأم وإلى الإخوة والأقارب.

إن من هذه التكاليف ما يدل على الإسراف والبذخ، وهذا لا يرضي الله ولا رسوله، وتحمل السيارات الأواني المنزلية والتي تحتاج وحدها إلى مستودع خاص، ثم سيارة مملوءة بأثواب الملابس، منها الملابس النسائية والأخرى للرجال، وسيارة أو أكثر تحمل من الشياه ما تنوء به السيارات لولائم بيت أهل الفتاة ومثلها لأهل الفتى.

فلقد جرت العادة السيئة على أن أهل الفتاة في أيام العرس الثلاثة الأولى يقدمون الولائم لأصدقائهم، وكذلك يفعل أهل الفتى في حارتهم، فيذبحون الذبائح ويقيمون الولائم لأهلهم وأصدقائهم وجيرانهم. . . . تدخل الأم لتبارك العرس ويضع في يدها من الذهب ما يتناسب مع مكانة الأم وهكذا الإخوة.

ويذهب العريس إلى أهله في اليوم الثالث من بيت العروس وهي ما يطلق عليها بالْخَرْجة ولا يعود إلى أهل العروس إلا بعدد من الشنط مملوءة بالهدايا.

حتى الناس تتكالب على مباركة الزفاف لأنهم سيأخذون هدايا، فالمرأة مثلاً تعطيها العروس ـ خاصة إذا كانت عزيزة عليها ـ قطعاً من القماش وليس قطعة، وما تقْدر عليه من ذهب.

تأتي السيارات محملة بالفرش المكدسة والتي تكفي لتأثيث أكثر من بيت، هذا بعض من كل، فإذا استطاع واحد هذا، هل يستطيع آخر، إن هذا الذي يحدث في حكم النادر.

فالخاطب ذو الدخل المحدود والراتب المقطوع حين يرى تورط ذي المال في مثل هذا، وحين يسمع عن هذه الإرهاقات من المطالب، وهذه الكثرة من النفقات ـ عدا ما يقدمه من مهر خلص لوالد الفتاة ـ تجعله يفضل أن يعيش في تقلبات العزوبة الأليمة وحيداً، لأنه لا يجد الرحمة ولا العطف، ولا الإنصاف، ولا العدل من والد الفتاة.

إن كثيراً من الشباب يريدون أن يعصموا أنفسهم من الانزلاق، ويحفظوا أخلاقهم من المفاسد، وذلك بالزواج الذي شرعه الله، ولكن أين لهم ثمن الحلوى فيشروها؟

إنها إرهاقات في المطالب وكثرة في التكاليف، تحول بين الشباب وبين الزواج فيفضلون الارتماء في أحضان العنوسة.

إن هذه العادات ليست تقاليدنا ولا عاداتنا، إنما هو تقليد أعمى، إنها من أحابيل الشيطان ليوقع في شراكها ضعفاء النفوس وفاسدي الضمائر، إن هذه الأباطيل لا تمت إلى الأخلاق بصلة ولا تلتقي مع التسامح الاجتماعي بنسب... نحن المسلمين لا يليق بنا أبداً هذا الإسراف وهذا التعويق للشباب، ولنأخذ من ولائم رسول الله ﷺ عبرة وعظة.

صحيح أن الوليمة سنة في العرس، وينبغي أن تكون الوليمة مناسبة على حسب الزمن والعادة وعلى حسب اليسار والإعسار، من غير بذخ ولا إسراف.

فعن أنس رضي الله عنه قال: «ما أَوْلَم النَّبِـيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنْ نِسَائِهِ ما أَوْلَم على زَيْنَب، أولم بِشَاة»[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبـي ﷺ: «أَوْلَم عَلَى صفيَّة بِتَمْرٍ وَسَوِيق»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الخمسة إلا النسائي.

وعن أنس في قصة صفية رضي الله عنها: «أن النَّبِـيَّ ﷺ جعل وليمَتَها التَّمرَ، والأقِط والسَّمنَ»[1].

وعن صفية بنت شيبة، أنها قالت: «أولم النبـي ﷺ على بعض نسائه بمدَّين من شعير». وقد قال ﷺ لعبد الرحمـٰن بن عوف: «**أوْلِمْ وَلَو بِشَاة**»[2].

ويقـول الله تعـالـى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ..﴾ [الإسراء: ٢٧].

إن هذه الهدايا وما يتبعها من عادات ونفقات وتكاليف، ليست من قبيل الفرض والتحتيم، كما أنها ليست من شروط العقد والنكاح في شيء، وإنما تعود إلى حرية الخاطب، ويسره وحالته المادية، فلا إلزام ولا شرط النكاح عليها، فإن رأى الخاطب في نفسه حالة يسر، وأراد أن يقدم لمخطوبته شيئاً من الهدايا في أي وقت يرتضيه وليس في أوقات بعينها، فله ذلك على أن لا يبلغ حد السَّرف والتظاهر بمظهر التفاخر والتباهي.

وإذا قدَّم الوليمة فليعتبرها من قبيل إكرام الضيف، فمن علامات الإيمان إكرام الضيف.

وإذا أراد الأب لابنته السعادة والبعد عن شبح العنوسة فيجب أن يتجنب تلك المهلكات وليبق على الأمور الطيبة، فيفتش عن الخاطب المسلم والزوج الصالح لابنته، ويتساهل في المهور والتكاليف، ويزيح من طريق الزواج كل هذه العقبات وتلك المعوقات التي تقف حائلاً دون بناء الأسر الإسلامية المتواضعة.

وبذلك تأمنوا حياة سعيدة لأولادكم، وتُجنِّبوهم شبح العنوسة.

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) صحيح البخاري.

عزوف الشباب عن الزواج

يعزف بعض الشباب عن الزواج لأسباب واهية ـ لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذا له أثره السيء في المجتمع.

فأمثال هؤلاء الشباب في عزوفهم عن الزواج يكونون قد ارتكبوا معصية لله تعالى ولرسوله وقد علموا أن لا رهبانية في الإسلام، فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «أن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة».

وهم أي العازفون عن الزواج ليسوا من جماعة المسلمين لقول رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَانَ مُوسِراً لأن يَنْكِحَ ثم لم يَنْكِحْ فَلَيْسَ مِنِّي»**[1].

إن العزوف عن الزواج من أهم عوامل العنوسة.

فالزواج فطرة الإنسانية وتلبية للشوق والميل... ففي تجاوز الفطرة اعتداء على حقوق الآخرين وأولى هؤلاء الفتيات.

وفي ترك الزواج ترك للسنة، وهذه خطوة من خطوات الشيطان الذي استطاع أن يقود الشاب إلى هاوية الهلاك، فأول شيء جعله يخالف نبيه وإن تظاهر بالصلاة والصوم وكل ما يشير إلى أنه من المسلمين، والذي استطاع أن يصرفه عن أمر من أمور دينه يقدر على جعله يسلك سبيلاً منحرفاً مع غريزته.

إن الشاب لا يجب عليه أن يشذ عن طريق حياته السوي الذي رسمه له رسول الله ﷺ لأن في تخلفه تخلف عن مسيرة المسلمين، بل

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي.

في تخلفه دعوة إلى قهقرة البشر.

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه «جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِــي ﷺ يَسْأَلُون عَنْ عِبَادَتِه عليه الصلاة والسلام، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهم تَقَالُّوها (أي وجدوها قليلة)، فقالوا: وأين نحن من النبـي ﷺ قد غفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟!!

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً!!.
وقال آخر: أنا أصوم ولا أفطر!!.
وقال آخر: أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً!!.

فجاء رسول الله ﷺ فقال:

«أنْتُم الذين قُلْتُم كَذَا وَكَذا؟ أما واللَّهِ إنِّي لأخْشَاكُمْ وأتْقَاكُمْ له، ولكني أصومُ وأُفْطِرُ، وأُصلِـي وأرقد، وأتزَوَّج النِّسَاءَ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فلَيْس مِنِّي».

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ أعظم دليل، بل أعظم ردٍ على هؤلاء الذين يتهربون من الزواج.

إن للعزوبة أخطاراً عديدة إلى جانب تعنيس الفتيات.

فالإسلام ذم العزوبة وحرم الرهبانية، لأن في ذلك خطر بالغ يصيب الفرد ويزعزع كيان المجتمع، والأخطار الناجمة عن تلك العزوبة البغيضة كثيرة، فإذا انتشرت العزوبة... انتشر الفساد والانحلال، فالنفس البشرية إذا لم يكن لها من تقوى الله رادع، ومن مراقبته زاجر، اندفعت إلى عالم الشرور وإلى حمأة الملذات والشهوات والفاحشة والرذيلة، كي تشبع هواها الغريزي، فالشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم في العروق، ويكون ذلك انتشار الأمراض ـ والعياذ بالله ـ بل وتكون تلك الرذيلة المسماة «بالعزوبية» من مظاهر الفساد والإباحية.

ومن أخطر مظاهر العزوبة تهديد الأسرة بالزوال، فلن يُكَوِّن

العازب أُسْرة، تلك الأسرة التي شجع على إقامتها الإسلام، ويسبب تعاسة للأسر القائمة، لأن ما من أسرة من تلك الأسر إلا وفيها من البنات العديد، فإذا انصرف الشباب عن الزواج فكيف تتكون الأسر؟ بل ستظل الفتيات عانسات.

إن هذا هو شفاء للرجل، لحياته التي يحياها والتي اختارها لنفسه، حياة مخالفة لله ولرسوله، وما يترتب على تلك المخالفات، وشقاء للفتاة لوقوعها في حبائل العنوسة، ومن علامات شقاء العازب نَبْذُه من أهله ومن أقاربه ومن محبيه أيام الطفولة.

بل العاقبة على المجتمع بانقراض النَّسل وقلة الأبناء، وفي هذا مخالفة للإسلام.

وقد يتعلل بعض الشباب بأن هناك عوائق تحول بينه وبين الزواج ولا يستطيعون الزواج مع تلك العوائق ويقولون إنه مشغلة عن الاستمرار في الدراسة إلى الدرجات العلمية الكبرى كالدكتوراة مثلاً أو التعليم الجامعي إلى آخره من التعليلات، ونسيَ هؤلاء أن الزواج من أكبر العوامل التي تهيء لطالب العلم الجو الفكري، والاستقرار النفسي والحياة الهانئة السعيدة.

كم من الوقت يقضيه في قضاء حاجته من غسل للملابس وتهيئة الطعام وتنظيم البيت، ويتحجج العازب بقوله إن الخادم يكفيني هذا، ونسي أن حياته تكون مهددة مع الخادم.

وإذا كانت هناك زوجة فستغني عن كل هذا بل ستزيد إلى العازب إذا تزوج الاستقرار النفسي والتركيز الفكري والهدوء العاطفي، بل إن الزوجة ستكون عوناً لزوجها كي يغرف من معين العلم، وينهل من منبع الثقافة، وستأخذ بيده كي يواصل طريق دراسته.

وربما يتعلل أن الزواج فيه مشغلة بالأولاد من علاج وفي ذلك

إضاعة الوقت أو لهو ولعب وهذا يؤدي إلى عدم التركيز، وهذا تفكير خاطىء، لأن الزوجة التي تعرف رسالتها تعمل جاهدة على مراعاة أولادها وتهيئة الظروف الصالحة لزوجها.

إن الزواج عامل هام في تهيئة الجو الدراسي الملائم لطالب العلم، وفي سلامة فكره وهواجسه من التخيلات العابثة والتأملات الباطلة الهابطة.

وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امرَأةً صالِحَةً فقد أعَانَهُ علَى شِطْرِ دِينه، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ في الشَّطْرِ البَاقِي**»[1].

كما أن في زواجه إسعاداً لأسرته وأسرة عروس كادت تقف في طابور العنوسة بعزوفه عن الزواج.

وقد يكون العزوف تعللاً بمشكلة قلة ذات اليد مع غلاء المهور وكثرة النفقات.

وفي هذا المجال وقبل أن نوافقه على رأيه فلنا نظرة إلى أبيه، فأبوه إما ميسور الحال وهنا تجب عليه مساعدة ولده حتى يتمكن من عبور هاوية العزوبية فيمده بالمساعدة ويساهم في انتشاله من براثن الفتنة وينقذه من شرور نفسه وهواجس تخيلاته التي تسيطر على عقله وتفكيره، وبهذا ينقذه من العزوبة بشرورها من انحلال خلقي يفتك بالصحة ويسيء إلى السمعة ويبعده عن نظرة المجتمع بسهامها التأولية وقولة الشك والريبة من الأهل والأقارب، بل يساعد على إقامة أسرة إسلامية وإسعاد أسرة بانتشال ابنتها من شبح العنوسة المخيف.

إن ما يقدمه الآباء من أموال لمساعدة أبنائهم ما هي إلا مجاديف لقوارب الإنقاذ مما يعانونه من اضطراب، إما في الفكر أو الخلق، وفيه الهدوء النفسي لهم وبتلك المساعدة يكون الأب عاملاً بقول

---

(١) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي.

رسول الله ﷺ: «دينَارٌ أنفَقْتَهُ في سَبيلِ الله، ودينارٌ أنفقْتَه عَلَى رَقَبة، ودينارٌ تَصَدَّقْتَ به عَلَى مِسْكِين، ودينارٌ أنْفَقْتَهُ عَلَى أهْلك، أعْظَمُهَا أجْراً ما أنْفَقْتَهُ على أهْلِك»[1].

والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وفي الوجه المقابل قد يكون تعليل الشاب أنه لا يملك نفقات الزواج لتكاليفها المرهقة ولمهورها الكثيرة وهو وأبوه غير ميسوري الحال، وهذه حجة مردود عليها وعلة فاسدة وفرية باطلة.

إن أهل الخير في الأرض كثيرون، فلقد كون رجال الإصلاح والعلماء جمعيات تعاونية تساعد أمثال تلك الحالات لتسهيل سبل الزواج والإعانة على تكوين الأسر الإسلامية فيقدمون يد العون إلى أصحاب الدخول المحدودة والأجور المتواضعة، حتى يتيسر للجميع حياة شريفة فاضلة، وعيش كريم طيب، وذرية صالحة سعيدة.

ورداً على تلك الفرية التي يدعيها العازف عن الزواج نقول إن الجمعيات الخيرية بما حباها الله من مسؤولين صالحين يقدمون العون كل العون لمن أراد الزواج، بل ويشجعون عليه فيمدونهم بالإعانات التي تعينهم على ذلك، وتهيء لهم المسكن المريح بالمساعدة فيه، وترشدهم إلى طرق العلم والتشجيع عليه، حتى يسود المجتمع حياة الاستقرار النفسي، وحتى تلغى كلمة العزوبة من قاموس النكاح، وتشطب كلمة العنوسة من حياة الفتيات.

ونصيحة هامة خالصة للآباء والأولياء. . . آباء الفتيات وأوليائهن.

نقول لهم يسروا ولا تعسروا، ساعدوا فتياتكم على الزواج وبناء الأسرة الصالحة وساعدوهم على إنجاب الجيل الصالح، وذلك بعدم

---

(١) رواه مسلم.

التغالي في المهور والاشتراطات الهوجائية في تقديم الهدايا، سدوا أبواب العنوسة من حياة بناتكم وأغلقوا طرق الحجج أمام العازفين عن الزواج واهدموا أساليبهم وتبريراتهم في سلوك طرق العزوبة.

وقد يتزرع العازفون عن الزواج بخجلهم من مصارحة الأهل بضرورة الزواج، أو الخجل من مفاتحة أهل العروس والتقدم إليها، وهذه حجج واهية، وأساليب باطلة لا يقرها الإسلام ولا يعترف بها، وإن كانت اللائمة تقع على الآباء لتربية أبنائهم الخاطئة فلو ربوهم ونشأوهم على تعويد الجرأة والصراحة والصدق لما وَجَد الخجل إلى فتيانهم منفذاً.

الحياء مطلوب لأن الحياء من فضائل الدين، والحياء الصحيح يكون من محارم الله، أما الخجل فليس من الصفات الطيبة إلا إذا كان خجله عن اقتراف عيب وارتكاب ذنب، أما ما عدا ذلك فهو مرض يجب معالجته.

يا شباب ارجعوا إلى ربكم ففي رجعتكم تنفيذ لأمره وصدق الله العظيم ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً... ﴾ [الروم: ٢١].

التقليد الأعمى وراء العنوسة

الشباب في هذه الحياة صنفان:

الصنف الأول: من تعهده أبواه بالرعاية والتوجيه السليم، تربى ونشأ على طاعة الله تعالى، وفي أحضان الإسلام، استمد خلقه من التعاليم الإسلامية، من توجيهات المصطفى ﷺ استمر طيلة حياته على تلقي الأخلاق الفاضلة، وساعده على ذلك الشريعة الغراء وتمسكه بالكتاب والسنة، وجد ضالته في بلده بين أهله وأقاربه، فلم يجر وراء العواطف ولم تجرفه التيارات المنحرفة، فيبادر هذا الشاب بزواج شرعي يروي به غريزته فيتقدم إليها لتكون قرينته وزوجة الحياة إلى الممات، وهكذا يخفف عن نفسه ثورة الشهوة، وجموح الغريزة، وحدة الميل إلى النوع الآخر، تأسياً بالسلف الصالح، فالإقبال على الزواج كان في سنٍّ مبكرة وفي ريعان الشباب ولهذا أسباب وفضائل:

منها: الاقتداء بالشباب الصالح والامتثال لأمر الرسول ﷺ الذي قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَاب مَنِ اسْتَطَاع مِنكُم البَاءَةَ فَلْيَتَزوَّجْ، فإِنَّهُ أغضُّ للبَصَرِ وأحْصنُ للفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصْوم فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[1].

ومن فضائله: تحقيق المتطلبات الغريزية، وأشواق الفطرة، وأنه لا رهبانية في الإسلام، ولغلق الطرق المؤدية إلى الفاحشة والفساد.

هذه فضائل وأسباب دعوة الشباب المؤمن عبر العصور الإسلامية، أن يُقبلوا بجد وشغف على الزواج، وأن يعصموا أخلاقهم به، وأن يصونوا المجتمع من عوامل المجون ومظاهر الفساد

---

(١) متفق عليه.

والانحراف، وبهذا يضعون الأشواك في طريق العنوسة بين بنات، أُمَّتُهنَّ أمة الإسلام.

هؤلاء الشباب ـ كما يقولون ـ عملة نادرة، وتحصين قوي ضد الشيطان وأفاعيله، يذهبون في رحلات إلى البلاد المختلفة فلا تستهويهم زخارفها ومفاتنها، إن هذه البلاد تعمل جاهدة لتحطيم الروح الإسلامية فيهم وتعلن ذلك صراحة فذاك أحد أقطاب المستعمرين يعلن وبكل وقاحة[١] «كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات».

ومما قاله القس «زويمر» في مؤتمر المبشرين في القدس: «إنكم أعدَدْتم نشأ في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات».

كل هذه الأقاويل لا تَفُتُّ في عضد شبابنا المسلم، الذي اتخذ من الإسلام شرعة ومنهاجاً، ومن تربيته الإيمانية حصناً ودرعاً، لا يتأثر بهذه الأقوال والأفعال حتى أنهم في وسط أجناس هؤلاء كالجوهرة المصقولة بريقها يُغْشي أبصار الماجنين.

هذا الشباب حَافَظَ على دينه وعلى نفسه، ورفع راية الإسلام عالية خفاقة، وحافظ على بنات دينه وحماهن من العنوسة بإقباله على الزواج منهن.

أما الصنف الثاني من الشباب... فهم ضعفاء الإرادة، ضعفاء في العقيدة استهواهم بريق الدعاية الكاذبة، إنهم حقيقة ينتمون إلى الإسلام

---

(١) كتاب بحوث إسلامية «عقبات الزواج» عبد الله ناصح علوان.

لكنهم أحجموا عن الزواج وابتعدوا عنه لأسباب انحلالية طغت على عقولهم وأعمت بصائرهم، أبواق إبليس تناديهم إلى اقتراف الرذيلة وإلى الجري وراء الملذات، والتقلب في أحضان المعصية، إن بصره لا يسلطه إلا إلى ما حرم الله، وفكره لا يستعمله إلا في مساعدة إبليس على غزل حبائل المعصية، فكيف يفكر هذا ـ مجرد التفكير ـ في الزواج؟ وكيف تهديه قريحته إلى انتشال الفتيات من براثن العنوسة.

إن إبليس وجنوده يرصدون طريقه ويحيطون به وهم دعاته إلى أبواب جهنم وبئس المصير، لقد انقاد للفتنة، واستسلم للميوعة، وعزف عن الزواج.

إن المفاسد الغريزية تقف في طريق زواجه وتَحُول بين الشباب وبين اختيار حليلة له، تكون سكناً لنفسه، وأمًّا لأولاده، وعصمةً لأخلاقه.

إنهم يسائلون أنفسهم ولماذا أتزوج؟ ونتحمل مسؤولية الأسرة والأولاد ولماذا نعكر صفو أيامنا، ولذة حياتنا بالهموم والمسؤوليات والأعباء؟ ويفضلون حياة العزوبية على حياة التزاوج، دون أن يزجرهم زاجر من دين، أو رادع من ضمير، طارحين وراءهم كل ما يتطلبه إنسان شريف من مَثَلٍ أعلى، وكل ما ينشده شاب طاهر من أدب رفيع!!

إن الضرر من هؤلاء لا يقتصر على كساد سوق الزواج وانتشار العنوسة فحسب، بل تشمل تفشي الانحلال بينهم وفقدان الغيرة والشرف.

هذه الفئة من الشباب الكارثة كل الكارثة إذا ابْتُعثت إلى دول الانحلال بحجة تحصيل العلم الدنيوي والحصول على دراسات عليا.

هذا الشباب تتلقفه الأيدي الجاحدة للإسلام وباسم الحرية توجهه للعبث والمجون فيجاريهم ويعوم مع تيارهم، فيرتكب ما حرمه الله تعالى.

ويستبيح لنفسه الخلاعة والمجون، وحتى إذا عاد إلى بلاده سيكون سفير سوء ونقمة وشر لأبناء بلده، لقد لبس الغث على أنه الثمين، وشرب المر على أنه الشهد، وسار وراء غرائزه وشهواته فأصبح من الخاسرين.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد. . . فعند عودته يعود وفي يده بنت من بناتهم، وحتى يُفْهِم أهله ومعارفه أنه عمل خيراً، فلقد تزوجها، وأسلمت وهي تصلي وتصوم، لقد خدعوه بذلك إنما هي جاءت لرسالة هادفة ولأمر دُبِّر بليلٍ، وحِيك على سنوات عدة، ألا وهو أن تكون معولاً لهدم الإسلام.

ثم لقد جاورت خليلاتها وخالطت بنات جنسها. . . أهذا هو النمط الذي يصلح لإقامة أسرة وتربية صالحة للأبناء، وبناء مجتمع متماسك. . . (إلا من رحمه الله).

أهؤلاء بنات (مُرقص وكوهين وصهيون) يكن بديلات العفيفات الطاهرات اللاتي تربين بين أحضان الأسرة المتماسكة المحافظة على دينها، المتزينات بثوب الفضيلة، لقد تزوجتَها مبرراً لنفسك الأعذار ومتخيلاً أن فيها التقدم والرفاهية.

أي تقدمية من وراء إبعادك عن دينك وأهلك وبنات جنسك، وأي رفاهية في تلك التي تقضي وقتها أمام مفاسد الحياة من «تليفزيون» ومشاهدات لتلك الأفلام الخليعة الماجنة الفاجرة.

إنها لا يحلو لها إلا قراءة المجلات الخليعة، والتأمل في الصور الفاضحة، وقراءة الجرائد الماجنة، لقد أبعدتك عن مائدة القرآن وجعلتك تنام حتى يبول الشيطان في أذنك فَتُحرم صلاة الجماعة، ولعل الأمر يقتصر عليك، إنما الخوف كل الخوف على هؤلاء الأطفال، ذريتك إنهم لأمهم أكثر تأثيراً من أبيهم، ولطباعها ينفِّذون، فلقد

أرضعتْهُمْ فساد الأخلاق وفطمتهم على كراهية كل ما يمت لأبيهم من مُثُل وأخلاق، إن وجدت.

وَيَنْشَـأ نَـاشِـيءُ الفِتْيَـانِ مِنَّـا على مـا كـان عـوده أبـوه

لقد ضربت بوصايا الرسول ﷺ عرض الحائط فلا أصلاً تخيرت ولا ديناً تدبرت، لقد غبَّرْتَ يداك.

وإذا كان عليك لوم فاللومِ الأكبر على من أحاطوك برعايتهم فلم يؤصلوا فيك غرس القيم، ولم يُقَوِّموك وأنت غض حتى تستقيم.

والواجب كل الواجب أن يكون المبعثون من الصنف الأول، الحريص على نفسه الغيور على دينه، المدافع عن أمته، الناشر لدعوة الحق.

وأن يكون مرآة لمجتمعه، يؤثر ولا يتأثر، ففي ذلك طاعة لله ولرسوله ونشر الفضيلة، وبهذا يتحقق مآرب الآباء وتسعد الفتيات، فلن تحل أجنبية محلها وتأخذ مكانها.

تعنت الفتيات أنفسهن[1]

(فقد يحدث من بعض الفتيات أنفسهن من رفض من يتقدم إليهن، إذا كان خارج البلد التي هي فيه، كأن تكون إقامتها في بلد مثلاً ويتقدم لها الكفء، من بلد آخر، فترفض مُتعللة بأن هذا الزواج سيباعد بينها وبين محلة أهلها.

فإذا رجعنا إلى شرع الله في هذه المسألة، وجدنا أن مصلحة المرأة الضرورية والجوهرية هي، زواجها من صاحب الدين والخلق الحسن، الذي إذا أحبها أكرمها، وإن بغضها لم يظلمها، أما كون هذا الخاطب لا يقترب من بيت أسرتها، فهذا أمر تحسبي لا يترتب عليه مشقة أو عنت أو تفويت أمر شرعي).

ونرى أشكالاً مختلفة من الفتيات تأخرن في سن الزواج لأسباب تافهة ولا تمس الإسلام في شيء وهذه قصة فتاة أصرَّت على أن العريس متوسط الحال. فانضمت إلى طابور العانسات.

(١) مجلة منار الإسلام ص (١١٤) للأستاذ/ رفعت محمد طاحون.

العريس متوسط الحال

تنشأ الفتاة وتتربى في بيت متواضع ولها من الإخوة العديدون وليس عندهم ما يسد رمقهم ويكفي حاجتهم إلا القليل ـ فمرتب الأب يكفي بالكاد، فإذا احتاجت البنت لباساً جديداً تظهر به أمام قريناتها، كان الغضب مرسوماً على وجه الأب، والتفكير ظاهراً على ملامحه لضيق ذات اليد، والأم في كدر لأنها حريصة ـ كل الحرص ـ على مشاعر ابنتها أن تكون بين زميلاتها مثلهن على الأقل. . . وتلجأ الأم إلى الاقتراض، أو يمد الأب يَدَ السَّلَفيات حتى يحقق لفتاته أحلامها، وهذا حقها، فالبنت اجتازت مرحلتها الجامعية، وكانت تتبادل مع أختها الصغرى ـ والتي تماثلها جسماً ـ الملابس حتى الكتب الإضافية كانت لا تجد أمامها إلا أن تنسخ ما تحتاجه، وقد حباها الله الفكر والعقل فاستغلت مكتبة الجامعة واستطاعت أن تجتاز مرحلة الجامعة.

وجاءها العمل فأسرعت إليه فرحة به، فلعل تلك القروش تعوض هذه البطون ما لاقته من حرمان، تسرح بخيالها، وتتذكر تلك الليالي يوم أن تتقاسم هي وأختها الخبزة، وما أجملَ الطعامَ إذا وجدته طهياً أو سلقاً أو خبيزاً. . . تسرح بخيالها وتتذكر أنها كانت تسير على الأقدام إلى مدرستها أو كليتها، وكم كان هذا مؤلماً لأنها ليس في الإمكان أن تشتري حذاءً آخر غير الذي تآكل، وتتحايل عليه بالتذويق مرة وبالإصلاح أخرى، هي مُقْبلة عليه وهو مدبر عنها ولا تنسى يوم أن حزمته بخيط الكتب الذي كان معها، يا لها من ذكريات أليمة، ويا لها من أيام فاقة وبؤس! والحمد لله تقول في نفسها سأبذل الجهد حتى لا يعاني أخواتي ما أعانيه، سأعمل وأعمل حتى ولو أضعاف الوقت حتى

يجدوا مُتَنفسهم وتطمئن نفوسهم، لن أُسْمعهم ما سمعته من يوم إدراكي الحياة، يوم أن تغلق أمي وأبـي باب حجرتهما دوننا، ونسمع تحاورهما عن نفقاتنا، ثم يخرج أبـي مبتسماً كأن شيئاً لم يكن، وبين جوانحه قلب مكلوم، إنها المأساة، مأساة حياة العوز والحاجة، سأكون إلى جوارهم وأمدهم بكل ما تملكه يداي حتى يخرجوا مما أحاط بهم من عوز وحرمان. . . ولله دَرّ القائل: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته» وسأكون أنا القاتلة لهذا الفقر بتقليم أظافره وخلع أنيابه التي يفترس الناس بها.

وتتنهد الفتاة وتناجي ربها وتردد أحاديث رسول الله ﷺ «**اللَّهُم إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا وَضِيقِ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[١].

«. . . **اللَّهُم. . . إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ الفَقْرِ وَالكُفْر**»[٢]. . . اللهم إني أعوذ بك من هم الرزق.

يا رب. . . «**اللَّهُم إنِّي أعُوذُ بكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحول عَافِيتِكَ، وفُجَاءَة نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخطِك**»[٣].

وتكبر الفتاة. . . وتحتل المنزلة بين أخواتها. . . والاعتزاز من أبيها وأمها. . . والتقدير من الخال والخالة والمحيطين بها.

فتاة تقية. . . تخاف ربها. . . وتحب نبيها. . . وتؤدي فرضها. . . تقرأ القرآن فلا تسمعها إلا همساً. . . وتتباكى وهي قارئة فلا ترى إلا دمعاً منهمراً. . . فكراً وتدبيراً. . . خير عون لأمها. . . رغم أعباء عملها. . . ذات السيرة العطرة في عملها. . . والحسن في قَدِّها بين زميلاتها. . . وهبها الله الجمال. . . وهداها إلى طريق الحق

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه الحاكم.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والحاكم والطبراني.

المستقيم.... لقد زينها الله بالعقل وميزها بالأخلاق الحميدة... لربها طائعة... ووجهها غير مرئي أمام الآخرين... وجمال أمام الزميلات... اليدان تكسوهما ما يخفيهما امتثالاً لأمر ربها.

ويطرق البابَ العرسانُ... الواحد تلو الآخر... فهذه هي الفتاة المرغوب فيها، فرسول الله ﷺ قال في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**تُنكَحُ المرأةُ على خِصَال: لجمَالِهَا ومَالِها وخُلُقِهَا ودينَها فعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّين والخُلُقِ تَرِبَتْ يَمينُك**»(١).

وهذه عروس المستقبل ذات خلق ودين فالظَّفَرُ بها ربح في الدنيا والآخرة والتغاضي عنها معصية لرسول الله ﷺ.

ويتسابق الشبَّان كلٌّ منهم يريد أن ينال تلك الفتاة الصالحة ذات الدين دون النظر إلى اعتبارات أخرى من مال وعلم، فما بالكم وقد اجتمع فيها الجمال والدين والحسب والمال... وإن كانت الأسرة متوسطة الحال.

فالله تعالى يقول: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

والمستوى الأسري لا يُهِم إنما المهم ما أمرنا رسول الله ﷺ فعن أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تُنْكَحُ المرأةُ لأرْبَع: لمَالِهَا ولِحَسَبِهَا ولجَمَالِهَا ولدِينِهَا فاظْفَرْ بِذَاتِ الدين تَرِبَتْ يَدَاك**»(٢).

وتفرح الأم، وينشرح الصدر الأبوي، فالفتاة كبرت، وغداً ستكون زوجة، ويبحث الأب عن العريس الخاطب فيجد المواصفات المطلوبة كلها فيه، ويزداد انشراحاً لأن الرغبة والمطلوب الذي تعلمه من أقوال رسول الله ﷺ متوفرة، فرسول الله ﷺ قال: «**إذا أتَاكُمْ مَنْ**

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

تَرضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه فأنْكِحُوه إلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير»[1].

لك الحمد يا رب، ورضينا يا رسول الله بما أمرتنا به.

ويتظاهر الأب بأنه مشغول، وتتقرب الأم من الفتاة وتهمس في أذنها، وتظهر محاسن الخاطب، ولكن ترفض الفتاة.

ولما ذلك يا فتاتنا؟ أليس هو ذو الشروط المحببة إليك والتي أمرك بها نبيُّك؟ ولا تبدي الفتاة الأسباب ولكنها في سريرة نفسها تقول إنه موظف مثل أبي وسأكون مثل أمي وتأتي الذرية فلا تجد إلا المعاناة.

وتحاول الأم، ويحتال الأب، والرفضُ شعارُها وتتكرر المأساة... كل طارق يطرق الباب ويعود بُخفَّيْ حُنَين.

ويمر الوقت... وتمضي الأيام... وتختفي العرسان وتَتَطلَّع الفتاة في البيت فلا تجد فيه أحداً... لقد تزوج الإخوة... ومات الأب... والأم عجوز، والشيب زحف عنواناً للفتاة، وامتلأ الوجه الجميل بالتجاعيد... ومثيلاتها أولادهن تخرجن، أو في الجامعات... وتقف الفتاة في محطة العنوسة، وتمعن النظر والفكر لعل ما تسمعه في أذنها من طنين هو قطار الزواج، ولكنه غادر ولن يعود... وبيديك ألبست نفسك ثوب العنوسة، وبضيق بصرك تَمَثَّلْت شبح الفقر، فما أفادك الغنى، فالناس دائماً من خوف الفقر في فقر... ماذا تستفيدين من تلك الأموال التي أصبحت بين يديك... وماذا تقولين لربك يوم الحساب يوم ضيعت من بين يديك من جاء يطلبك لبناء بيت دعاماته التقوى وأسسه الصلاح؟... لقد هدمت بِقِصَرِ تفكيرك كل ما فيه خيرك... لقد دفنت حيويتك وشبابك ونضارتك في

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

مقبرة النسيان. . . وما تذكرت إلا شبح الحاجة فسيطر عليك وكساك ثوب العنوسة.

لقد أكثَرْت تعدادَ العانسات بعنوستك، وأصبحْتِ تضحكين على نفسك بزيارة أخواتك وأولادِهن إليك بسبب العريس متوسط الحال.

رحمك الله وحفظك من كل سوء حتى تلقي الله سبحانه وتعالى.

حالة العزلة والغربة بسبب[1]
انقطاع صلة الأرحام والزيارات العائلية

فقد أصبح الحصول على الزوجة المناسبة أو الزوج المناسب، ضرباً من المستحيل أحياناً... وإلى عهد قريب كانت المجتمعات العربية تعيش مجتمع القرية، مجتمع العائلة الواحدة، حيث يعرف الجميع فتيات وشباب كل أسرة ويقوم بدور الوساطة لوجه الله، وكانوا ربما يحتالون لذلك... وكان ستر البنت عندهم قربة إلى الله، ومساعدة الشباب العفيف على الزواج من أحب الأعمال الصالحة.

لذلك فإننا نرى أن:

تقارب الأسر الإسلامية بالزيارات من حين لآخر.

وصلة الأرحام بعضهم لبعض، من العوامل التي تسهل أمر التزاوج بين الأفراد، وتقضي على العنوسة إلى غير رجعة.

---

(١) بتصرف مجلة منار الإسلام ص (١١٣) للأستاذ/ رفعت محمد طاحون.

عدم اقتناع كثير من البنات بتعدد الزوجات[1]

نجد أن تعدد الزوجات ليس أمر واجباً ولا مندوباً في الإسلام . . . ولكنه أمر أباحه الشارع الحكيم لمعالجة بعض المشاكل الاجتماعية التي قد يتعرض لها المسلمون.

فالله سبحانه وتعالى لم يحل شيئاً إلا أن يكون مصلحة ومنفعة للبشرية جمعاء.

وهنا: إذا تدبرنا تعدد الزوجات في الإسلام نكشف بعضاً من حكمتها.

قد يتزوج الرجل من امرأة للنسل ـ وهي الغاية الكبرى من الزواج ـ فيجدها عاقراً لا تلد.

وهو راغب في الذرية ولا يريد طلاقها حباً لها أو شفقة عليها.

وهنا: فمن مصلحتها أن ينكح أخرى غيرها تأتيه بما يقرّ به عينه من الذرية مع بقاء الأولى متنعمة بنعمة الزواج.

إن الأمة الإسلامية صاحبة رسالة ودخلت وستدخل في حروب متعددة ومستمرة لأن أعداءها كثر ـ فتفقد الكثير من رجالها. كما أنها بحاجة إلى من يرعى أرامل وأيتام الشهداء بعد استشهادهم إكراماً لهم وقد ضحوا بأنفسهم في سبيل الله.

وهنا: نتيجة الحروب. سوف يختل التوازن بين الجنسين. لأن

---

(١) بتصرف مجلة منار الإسلام ص (١١٦).

معظم الموت ينال الرجال فيزيد لذلك عدد النساء.

ولهذا كان لا بد أن يتزوج الرجل بأكثر من واحدة حتى تبقى الحياة الفطرية هي السائدة في المجتمع. وحتى لا تنشر الفاحشة والعنوسة فيه وهكذا نقضي على العنوسة.

فإقتناع الفتيات بتعدد الزوجات وأنه شرع الله الحكيم: أمر طيب تدعو إليه الفطرة وصدق الله إذ يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣].

ماذا فعلت بهن العنوسة؟

اضطرابات نفسية وفزع... والحل في التعدد[1]

تعددت قصص العنوسة وضحايا الظاهرة الخطيرة التي أضحت مشكلة مرعبة حقاً يعيشها قطاع كبير من نساء المسلمين... وبرغم تفاوت الأسباب من حالة لأخرى... إلا أن شبح العنوسة في النهاية يظل محطة مؤلمة لكثير من هؤلاء اللاتي فاتهن القطار.

عن ما فعلته العنوسة بهؤلاء أجرينا هذا التحقيق.

الدكتورة إلهام مؤنس (٤٥ سنة) أستاذة بإحدى الكليات العملية بجامعة عين شمس... عندما ذهبت إليها للقيام بواجب العزاء في وفاة والدتها لم أتخيّل كم الوحشة والغربة التي تعيش فيها... الشقة فاخرة وتقع على النيل والأثاث فاخر، لكنها باردة ومظلمة... والدكتورة إلهام تعيش فيها وحيدة... ظلت تبكي طويلاً... تبكي رحيل الأبوين، وتبكي أيامها المقبلة بلا ونيس... سألتها بعد حين: ألا تريدين الزواج؟ قالت: لن أتزوج، فمعظم من تقدموا لي منذ أن تعديت سن ٣٥ سنة غير مناسبين، فإما: أرمل كبير أو مطلق مشاكس، أو لديه أطفال ويريدني لخدمته فقط، وأنا لا أصلح لتلك المهمة، إنني مشغولة بالتدريس وأحاول أن أقضي وقتاً كبيراً في الجامعة وخصوصاً بعد وفاة والدتي وهجرة أشقائي للخارج... إنني عندما أجلس بمفردي الآن في هذه الشقة أصاب بحالة فزع وبكاء مستمر لا ينقذني منها سوى النوم أو

---

(١) جريدة «المسلمون» العدد (٥٩٣) الجمعة (٢٨) محرم (١٤١٧هـ) ـ (١٤) يونيه (١٩٩٦م).

سؤال بعض تلميذاتي وحديثهن لي عبر الهاتف.

أما د. فاطمة سلامة (٣٩ سنة) طبيبة، فتقول: والدي كان أستاذاً بكلية الطب وكان دائباً حريصاً على تفوقي العلمي، وقد انشغلت بالتعليم وحصلت على الماجستير ثم الدكتوراه... ولم أعتبر يوماً ما أن عدم زواجي يمثل مشكلة، لقد تقدم لي الكثيرون لكن معظمهم كان في رأي أسرتي دون المستوى، والآن عندما أستعيد شريط حياتي أتوقف عند البعض وأرى أننا كنا مغالين بعض الشيء... إنني أعيش الآن مع بعض أشقائي في فيلا خاصة بنا، وأتجول في العديد من البلدان الإسلامية للدعوة والتعارف لقد تشاغلت عن الزواج حتى لا يؤلمني التفكير فيه كثيراً.

أما سلوى الطاهر (٤٠ سنة) مدرسة، فتقول: إنني لست عانساً، فما زلت أنتظر من يناسبني ولا أحس بأي قلق.

أما د. ريم الطوبجي (٤٣ سنة) أستاذة بكلية العلوم فتقول: الذي أخَّر زواجي هو البعثة، لقد انشغلت بهذا الأمر وكنت أشترط على كل من يتقدم لي أن يسافر معي ولم أوفق في ذلك، لأن من تقدموا لي كانوا مرتبطين بأعمالهم في القاهرة، وكانت تلك المرحلة هي أهم فترة في حياتي، بعد ذلك انخفض معدل من تقدموا لي، والآن جميعهم لهم ظروف خاصة... إنني لا أرفض الزواج، ولكن ما يهمني هو المستوى العلمي الذي يناسبني، وما يؤرقني أحياناً إنني أريد أن أتحدث مع أحد ولا أجد أحياناً من يسمعني... حتى بعض صديقاتي يضقن بي لأنهن مشغولات بأزواجهن وأولادهن.

مريم الطويل (٤٨ سنة) مدرسة فقه بالمعاهد الأزهرية، تقول: أعيش وحدي الآن لأنني لا أتوافق مع أشقائي وشقيقاتي، فكل واحد له أسرته المستقلة، وأنا أقاوم شعوري بالوحدة وعدم الزواج بالصيام، وأتناول دائماً الأغذية النباتية، فهي تريحني بدنياً ونفسياً، ولقد رتبت

حياتي على العبادة والصمت واعتزال الناس متى استطعت ذلك.

أما **سلوى حامد** (٣٩ سنة) فتقول: لقد كنت متبرجة والتزمت بعد سن الثلاثين، واختلفت رؤيتي إلى من يتقدمون لي، لقد كان شرطي هو الالتزام الديني والخلقي... لكنني لم أوفق، وأنا الآن أعيش وحيدة مع والدتي ومتفرغة لدراسة العلوم الشرعية والدعوة... ما يؤلمني حقاً هو ما أحس به من اعتزاز وتكبر من قبل المتزوجات، إنهن دائماً يعتبرن أن حظهن من الزواج والأولاد استحقاق لتفوقهن ومؤهلاتهن الشخصية، وهذا ما يؤلمني لأن هذه المسألة هي قدر الله وأرزاقه التي لا نملك فيها حيلة إنني أريد الارتباط بإنسان صالح وتكوين أسرة حتى لو كنت زوجة ثانية، لكن المجتمع ما زال يستنكر ذلك، والزوجة الأولى تعلن دائماً الحرب على الزوج والزوجة الثانية وتستخدم في ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

أما **سكينة فوزي** (٤٨ سنة) غير متعلمة فتقول: لقد خطبني عمي لابنه وأنا صغيرة وحجزني فترة طويلة، وعندما توفي عمي رفض ابن عمي هذا الزواج وتزوج بأخرى بعد أن تعديت سن الشباب والزواج، ونتيجة لذلك أعيش وحدي أتكسب قوتي من التجارة البسيطة ومن عطف بعض أقاربي، لكنني كلما تذكرت عمي وابنه لا أملك إلا أن أحتسب عند الله جنايتهما علي.

أما **عطيات عبد الفتاح** (٣٥ سنة) فتقول: أخي الأكبر أمرني بالخروج من المدرسة، وقال لأبي تتعلم في البيت أفضل، وحاول تحفيظي القرآن الكريم في البيت، لكنه انشغل في أعماله، وجميع أشقائي بنين وبنات تزوجوا الان، أما أنا فكل من كان يتقدم لي كان دون المستوى ومن يناسبني كان يسأل دائماً... ماذا تعلمت؟... وفي قريتنا يعتبرون أن من تتعدى الخامسة والعشرين تعتبر عانساً... إن هذا الأمر قد أثر على نفسيتي وجعلني أصاب أحياناً ببعض الاضطرابات في السمع والبصر.

سعاد السيد (٥٥ سنة) التقيتها في إحدى العيادات الخاصة. . . ترتدي أزياء فتيات العشرين، كانت تثرثر كثيراً وتذكر أن والدتها هي السبب، لأنها كانت تضع شروطاً مادية صعبة حتى هرب العرسان وهي الآن تعيش مع شقيقها وأولاده وتقول، إن زوجة أخيها عندما تحدث مشكلة بينهما تعايرها بأنها لم تتزوج، وهذا ما يؤدي بها إلى الاكتئاب أحياناً، لكن أولاد أخيها يحبونها وتجد فيهم أمومتها.

الدكتورة ليلى كرم الدين أستاذة علم النفس بجامعة عين شمس تقول: نفسيَّة الفتاة التي تأخرت في الزواج، أو التي لم تتزوج يتوقف السبب على ظروفها الاجتماعية والنفسية والتعليمية، وهل عدم زواجها يرجع لرفضها هي أي لاختيارها الشخصي أم يرجع لرفض الآخرين لها. . . والسبب الأخير هو الذي قد سبب مشكلة، وإنني أرى أن مشكلة العنوسة النفسية قد تصيب الرجل والمرأة معاً، وقد تعوِّض العانس عدم زواجها بتحقيق ذاتها في تقديم بعض الخدمات الاجتماعية للمحتاجين، كالمعوقين مثلاً واليتامى وفي رعاية الأقارب المحتاجين أيضاً، وفي هذا تعويض لها وقد يكون له تأثيرٌ طيب على استقرارها النفسي، والعنوسة في رأيي ليست مرتبطة بسن معينة، فالمرأة من الممكن أن تتزوج في أي وقت وفي أي مرحلة عمرية، لكن المهم ألا تطلب المثالية وتراعي أن لكل سن ظروفاً يجب أن تخضع لها وتكون واقعية وتحرص على تكوين أسرة تسعد بها.

الدكتور أحمد المجدوب أستاذ علم الاجتماع يقول: العنوسة ليست مشكلة فرد، ولكنها مشكلة مجتمع وأفراد يتدخلون دائماً فيما لا يعنيهم ويسببون لصاحب المشكلة أزمة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فكل امرأة لها جوانب مقبولة ومطلوبة في شخصيتها، ولكنها قد تكيف حياتها وتجد استقرارها في عدم الزواج أحياناً، ولكن ما يسبب

لها المشكلة هو التدخل الدائم من قبل أفراد المجتمع والأقارب والأصدقاء في حياتها، وسؤالهم الدائم... لماذا لم تتزوجي؟ وهذا السؤال يستلزم استنكاراً واستقصاء للظروف والأحوال وهذا ما يدفع الفتاة لمزيد من الألم والمشاكل.

والعنوسة لا تقاس بالعمر الزمني، لأن هناك فتاة فارقت العشرين بقليل وتحس بالعنوسة، على عكس أخريات فهذه مسألة تتوقف على شخصية الفتاة وثقافتها وتكوينها الاجتماعي والفكري، فالمرأة المسلمة يجب أن تكون ثقتها في الله كبيرة، وأن تؤمن بأن مسألة الزواج هذه هي من أرزاق الله سبحانه وتعالى، ويجب عليها أن تحرص على كرامتها وأن تجمع بين أمرين، فلا إفراط ولا تفريط فأنا ضد الفتاة التي تتودد إلى الشباب لأن الرجل في تكوينه النفسي لا يحب ذلك، وكذلك أرفض الفتاة التي تغالي في متطلباتها، وكلتاهما تؤديان إلى عدم زواج المرأة، وإنني أنصح أي فتاة لم تتزوج بأن يكون لها اهتمامات خاصة وتشغل نفسها فيما يفيدها ويفيد مجتمعها، كأن تدرس أو تعمل وتنتج أو تقدم خدمات خيرية للمحتاجين... فالانعزال غير مطلوب وغير صحي لها ولمجتمعها.

الدكتورة سعاد صالح عميدة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر تقول: الله سبحانه وتعالى قد كتب للإنسان قبل ولادته أجله، شقي أم سعيد؟ ومن سيتزوج وغير ذلك، وإذا لم تتزوج المرأة لظروف خارجة عن إرادتها فإن ذلك من قضاء الله وقدره، وينبغي للمرأة التي لم توفق في الزواج والتي لم يفكر فيها أحد للزواج، أن تستسلم لقضاء الله وأمره، لأن الأصل فيها الحياء والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى في شأن ابنتي شعيب: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص: ٢٥].

فالمرأة التي لم تتزوج يجب عليها ألا تلهث أو تجري وراء

الرجال من أجل الزواج، بل يجب أن تتمسك بحيائها وعدم بروزها وعدم اختلاطها، وتترك ذلك للمقادير، كما ينبغي للمجتمع ألا ينظر لهذه المرأة نظرة ازدراء أو انتقاص لأنها عنصر فعال فيه سواء تزوجت أم لا، وينبغي لتسهيل الزواج وفتح بابه عدم المغالاة في المهور أو في المطالب الاجتماعية التي يفرضها العرف الآن، كما يجب أيضاً قبول مشروعية تعدد الزوجات خاصة إذا كان الرجل قادراً من الناحية المادية ومؤهلاً شخصياً ويستطيع العدل بين زوجاته، فالتعدد أخف ضرراً من العنوسة.

ضعف التربية
الإيمانية عند الشباب[1]

إن العاصم القوي للشباب من الانزلاق في الحرام ومعصية الله، هو الإيمان القوي بالله والإيمان هو الدافع القوي لهم على الزواج، لبناء أسرة صالحة تكون أساساً للمجتمع الإسلامي.

وهنا: إذا ضعف الإيمان عند الشباب، وتربوا في غير مدرسة الإسلام، ضعفت خشية الله في نفوسهم، ولم يستشعروا بأن الله يراهم، فلا يستحيون من الله أن يراهم حين نهاهم، أن يعملوا عملاً لا يرضى عنه.

يقول تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

وبذلك يكلهم الله إلى أنفسهم، فيقعون فريسة في يد شياطين الإنس والجن، يستحلون الحرام، ولا يقيمون للحلال أي وزن.

وللعلماء والمربين والموجهين دور في هذا المجال، وكذلك في عرضهم لمشكلة العنوسة التي تصيب جمعاً كبيراً من الفتيات والفتيان وإلى مشكلة غلاء المهور، وتكاليف الأفراح ولا بد أن يشمل التوجيه أولياء الأمور إلى التيسير في زواج البنات عند توافر الدين والخلق في الزوج المتقدم، فيعودون إلى تعاليم الإسلام والترغيب في الزواج المبكر.

---

(١) بتصرف من مجلة منار الإسلام ص (١١٢) للأستاذ/ رفعت محمد طاحون.

الطموح الدراسي
مــن أسبــاب العنوســة

فقد تصر الفتاة على أن تكون طبيبة أو دكتورة، وتبدأ سُلَّمها الأول من المرحلة الابتدائية بعد الروضة والتمهيدي وبتفوق تدرس المرحلة المتوسطة فالثانوية، وحُلْمها الجميل يبدأ في التحقيق، فتلتحق بالتعليم الطبـي وتصبح طبيبة، وربما تكتفي أو لا تكتفي، وتستمر في الدراسة للحصول على الدرجات التخصصية «كالماجستير والدكتوراه».

ويقف قطار الزواج في محطات تلك المراحل، والركاب يطرقون الباب ـ واحداً بعد واحد ـ ولكن لا مجيب، فالساكن في واحة العلم يجدد زهورها، ويستحدث بديلها، ويطول الانتظار وينصرف الركاب، أما الفتاة طالبة العلم لا تُصغي لأحد وتتجاهل كلَّ من يريد الظَّفَر بها. . . فغداً ستكون ذات مركز مرموق. . . .

وتتطلع الفتاة فترى دقات العمر تتقدم، فلقد قاربت الثلاثين أو فارقتها، وأين هؤلاء الذي سبقوا من عرسان. . . لقد حققت آمالها وأصبحت تفكر في أحلامها. . . ولكن هل لِبنْت الثلاثين أو الأزيد من ذلك من مريدين؟ حتى ولو أصبحت في أعلا عليين من المراكز؟

كم من حسرة تنتابها وهي محتشمة بثيابها البيضاء؟ فهي طبيبة بارعة ـ ثم تأتي أم تحمل طفلها لتعالجه عندها.

كم من ألم يمزق قلبها عندما ترى تلك التي تؤدي رسالة الأمومة ولم تهمل رسالة العلم بل جمعت بين الحسنيين؟.

لقد خلق الله المرء وجعل له رسالة في الحياة الدنيا، وأحسن

رسالة تلك «رسالة المرأة» فهي الأم الحانية المربية لجيل صالح يبني مجتمعاً فاضلاً، أنستبدل الرسالة السامية بالرسالة الدنيوية. ما أجمل الإثنين معاً.

لقد جلست تعد أيامها الباقية وحيدة، حتى ولو كان حولها الإخوة والأهل، أو جمعت من المال أوفره، أو وصلت من علو لمنزلة أرقاها، فلن تستطيع تعويض طارق الأمس... إنها تتمنى اليوم من يمد يد الخلاص لها، حتى ولو افتدت نفسها بكل ما حصلت عليه من شهادات، وبكل ما جمعت من أموال، بل لتذهب الشهرة....

كل هذا فداء لإزاحة رداء العنوسة عنها ووضعها في مكانها الطبيعي... «نصف المجتمع»... المُمدَّة له بالرجال الأتقياء الأقوياء، المخصَّبة له الفتيات الصالحات... ولكن أين هو؟

وترضى به كبير السن... ولكن أين هو؟... وتوافق على أن تكون الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة... ولكن أين هو؟

لقد أسدلت العنوسة ستائر النسيان عليها وغلقت أبواب الزواج دونها... هذا ما صنعَت يداك أيتُها الفتاة....

الدلال سبب العنوسة

إن دَلال الفتاة من العوامل الهامة في التأثير على حياتها.

وللدلال أسباب فقد تكون الأم شحيحة الإنجاب، أو يكون الأب هو المصاب بقلة الإنجاب، وتأتي المولودة أو المولود بعد تهافت من الأسرة، وتتعهدها الأم بالحنان الزائد والتربية التي قد تكون خاطئة، ويبعد عنها الأب كل ما يتحسسه أنه سيصيب منها. . . .

وقد يكون الدلال سببه أن الذرية لا يبقى منها أحد ولم يبق منها إلا حالتنا تلك، فالأولاد لا يمكثون في الحياة إلا قليلاً ويلحقون بالرفيق الأعلى ولم يبق منهم إلا تلك، فإذا مسها شيء يضرها فكأنه مس القوم قرح يجعلهم يَتِيهون ويألمون ويولولون، إذا مرضت مرضت الأم وهام الأب على وجهه، وإذا عطست فالمسكينة أصيبت بنزلة برد وسيؤثر ذلك على حياتها، ويسارع إلى الأطباء حتى منهم من يصبح «الزبون» الدائم عند هؤلاء الأطباء.

وإذا نصحتهم قالوا لك هذه هي «حيلة»، ونسوا أنفسهم في خضم خوفهم. . . وجروا وراء تفكيرهم. . . أنسيتم أن الذي خلقها هو حافظها؟ أَوَمَا قرأتم أن كل شيء بقضاء؟ أعميتْ أبصاركم فجريتم وراء شيطانكم؟ إن الله هو الخالق وهو على كل شيء قدير.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ولا تسمع إلا كلمة حنان الأم، وهذا قلب الأب، إنها الوحيدة، دلال ما بعده دلال.

وأحياناً يكون الدَّلال لأنها أصيبت بمرض، وتَعِبَ الأهلُ وداروا

بين أروقة الأطباء، فإذا اقترب منها أحد من إخوتها كان النَّهْرُ والزجر له، فهم يعملون جهدهم ـ إن كان الأب وإن كانت الأم ـ كي يزول ما بها من غمة وتلبس ثوب الصحة والعافية.

أما الدَّلالُ الفطامي... وهو دلال الصغر... لأن الفتاة صغرى أخواتها وأخراهم فالأم وصلت مرحلة اليأس والأب كبر، ونشأت الفتاة بين أبوين لفحهما الكبر، ووهنت قلوبهما، وقويت عاطفتهما، وقلت شكيمتهما.

هذه منارات الدلال، فتذهب الفتاة إلى المدرسة في مرحلتها الأولى، وتذهب الأم كي توصلها حرصاً وخوفاً عليها وتراقبها في العودة حفاظاً لها، والويل والثبور لمن يؤنبها في المدرسة سواء كانت مُدرِّستُها أو زميلتها، حتى في البيت ربما كان لها الطعام المفضل.

ويأتي الزائر إلى دارهم فيجدها أول المستقبلين وآخر المنصرفين، بينما إخوتها بين طيات الكتب قارئين أو كاتبين.

وتمر السنة وراء السنة حتى تجتاز سنوات التعليم، وإن كان ذلك بصعوبة بالغة في البيت، لا تلبس إلا غالي الثمن، ولا تتحرك إلا بسيارة أو على الأقل بسيارة أجرة حتى ولو كان أبوها رقيق الحال فما بالكم بالأب الموسر، فلا بد أن تكون سيارتها آخر عهد للمصنع بها... ومَنْ مِثْلُها؟ فهي دلوعة الأبوين.

لا تساعد أمها... وإذا جلست فلا تجلس إلا للتلفزيون، وإذا قرأت فقراءتها انعكاس لشخصيتها، وإذا جالست ضيوفها جلست بينهن وكأنها عروس في يوم زفافها.

وقد يكون الأب والأم مغلوبين على أمرهما وليس عندهم مُكْنَةَ الخادمة، فهل تجرؤ الأم أن تجعلها في خدمة إخوتها أو أهلها أو حتى نفسها.

وتسرع الأيام وتكبر المدللة وباسم الله أصبحت مطلوبةً للزواج. . . .

ويتقدم إليها ابن الجيران الموظف. . . ويطلب من أبيها أن يزوجه إياها. . . ويغتبط الأب فإنها الجيرة الطيبة التي أوصى بها رسول الله ﷺ. . . إنها جيرة الجوار وجيرة الإسلام. . . أي أن للخطيب حقَّين عند والد الفتاة. حق الجوار وحق الإسلام، وفي هذا يقول المصطفى: «**الجيران ثلاثة: جارٌ له حقٌّ واحد، وجارٌ له حقَّان، وجارٌ له ثلاثةُ حقوق، فالجار الذي له ثلاثةُ حقوقٍ الجار المُسْلم ذُو الرَّحم، فلهُ حقُّ الجوار وحقُّ الإسلام وحقُّ الرَّحم، وأما الذي له حقَّان فالجار المسلم له حقُّ الجوار وحقُّ الإسلام، وأمَّا الذي لَهُ حقٌّ واحدٌ فالجَارُ المشرك**»[1].

وكيف لا؟ إنه الشاب التقي الورع، عهدناه صادقاً في وعده، مخلصاً لربه مطيعاً له في والديه وإخوته، لم نعهد عليه كذباً، ولكن لا أستطيع أن أوافق دون استشارة الفتاة، فلقد بلغت من السن ما يجعلها تستشار. . . وَيَعِد الأب الخاطب خيراً على أن يمهلهُ بعض الوقت. . . وبفرحة غامرة تعرف الأم مقصد الزيارة، وتسارع إلى ابنتها كي تزف إليها رضاء الوالد ومباركته وتظهر لها فرحة الأم بما كانت تتمناه لها. . . وتقوم الابنة مزمجرة كيف يجرؤ؟ أنسي أنني فلانة؟ وتردها الأم. . . لا تعيبي فهو الجار وفي منزلة الولد. . . هو الخلوق الذي تربى بيننا، عرفناه طفلاً وأدركناه غلاماً، واليوم يمد لنا يد الرجولة والأصالة. . . لو كان أحد غيره لسارع إلى غيرك وهن كثيرات، ولكنه رأى فيك أمنيته ومستقبله والجيرة. . . لا. . . فالعريس الذي أرضاه لنفسي لم يأت بعد. . . وتذهب الأم غاضبة كاسفة البال إلى الأب الذي يُصدم بتلك

---

(١) أخرجه الحسن بن سفيان والبزار في مسنديهما.

الابنة التي جعلتهم أمام أحبائهم ضعفاء ولا يستطيعون تنفيذ رغبتهم... ويعتذر الأب بالتمنيات الطيبة لابن الجيران....

وتأتي الخالة وتعلم ما حدث فتغضب لأنها تريدها لابنها ولكنه كذلك مرفوض لأن تعليمه دون تعليمها، وتأتي العمة وتنصرف، والعم، ولا مبالاة ثم يأتي فارس من خارج الأسرة يكبرها ببعض السنوات والسبب أنه تعلم حتى حصل على المؤهل الجامعي ثم ما فوق الجامعي.

وترفض الدلوعة... فكيف تتزوج من رجل يكبرها سناً؟ وإذا تزوجته فمعناه أنها تتزوج علمه... وسيكون منصرفاً عني إلى كتبه... فليتزوج الكتاب وليتخذه صديقاً، ولن أكون له زوجة، ففارس الأحلام لم يأت بعد، ويغيب عن وجههم كما غاب مَنْ قبله....

وتمضي الأيام ويتقدم الخاطب، شاب وقور... ازدان بالعلم وتَوَشَّح بالحلم، من أعرق الأسر في البلدة المجاورة، فأبوه إمام وخطيب القرية، وأمه منسَّبة، والخاطب تربى في حجر أبيه على العلوم الشرعية بأحكامها القرآنية بآياتها وتجويدها، وانتهى من دراسته وأصبح إمام تلامذته وقدوتهم في المدارس... فيه صفات الزوج الصالح ولقد جاء تنفيذاً لشرع الله وهدي المصطفى ﷺ فلقد قال ﷺ: «النِّكَاحُ سُنَّتي فمَنْ رغبَ عن سُنَّتي فقدْ رغب عني» وهُو القائِل: «النِّكَاح سُنَّتي فمَن أحبَ فطْرتِي فَليستنَّ بِسُنَّتِي»[1].

ويمهله الأب أياماً فهو خير من رأى لابنته، ولن يجد أفضل منه ـ إن شاء الله ـ وتسارع الأم إلى الفتاة، ولقد عرفت عنه كل شيء من

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن.

أمها، ولكنها ترفض قائلة: (مدرس يتناول راتبه كل شهر، ولن يكفينا بضعة أيام، ولو كفانا فأنا لا أحب هذا الصنف من الناس، إن الذي أريده لم يأت بعد، ويوم أن يقع بصري عليه وأتحسسه بقلبي فلن أمانع).

ويأتي هذا، ويمرق ذاك، والرفض شعارها، ولا حيلة للأب ولا كرامة للأم، فهي التي تشير فيهرول إليها الجميع، وإذا أمرتْ أطيعَت. فكيف الآن توافق على من يتقدم إليها، إنها تأثرت بقراءاتها الخيالية، ترى في فارس الأحلام ذلك الطبيب المشهور المُفصَّل خصيصاً لها، له أوصاف الفرسان وقوة الشجعان... عنده المال الطائل، ويملك السيارات الفارهة... عنده من الخدم والحشم ما يجعلها في منزلة (زبيدة) أو (قطر الندى)، وتوصد الباب أمام كل طارق، ولا شيء يهم إلا أن يتحقق حلمها الخيالي، وتمر الأيام وتطوى الليالي، وكل آت قريب ولكن آتيها بعيد، ويفر الخطاب ولا يخطر ببال أحدهم طرق الباب، فلقد طال انتظارهم واستمر رفضها، وانقطع رنين الباب من الخطاب، وخيم الليل بما يحمله من أردية خيوطها سوداء، ونسج العنكبوت خيوطه على فوهة بؤرة العنوسة التي اتخذتْها داراً لها، وتحاول الخروج منها ولكن أين القوة والحيوية؟ لقد ذهب الربيع ولم يبق إلا خريف العمر بوحشته وجفائه، وانفض السامر وصحا النائم فرأى المقاعد خاوية والأحباب تفرقوا، وزحف الشيب وطغى على الشباب، وزاد طابور العنوسة عانساً وهل ينفع الندم؟ هل أفاد التدليل في شيء؟ لقد كان خسراناً مبيناً، كانت تأمر فتطاع، واليوم تتوسل ولا مجيب، حتى ولو كانت الزوجة الثانية... إنها راضية بما استقبحته بالأمس حتى ولو كان في سن أبيها، لقد كانت الفرص سانحة ولكن تدليلها كان صداً جامحاً... فعلى نفسها جنت براكش...[1]. لم تكوني راضية ولم تنفذي أوامر ربك وسرت وراء سراب زائف فلا نقول إلا قولة

---

(١) أمثلة عربية تُضرب لمن أضاع الفرصة من يده.

الأعرابـي . . . الصيف ضيعت اللبن[1] ولا تلومين إلا نفسك.

قال الله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

لك الله يا فتاة يا مدلّلة، أعانك الله على عنوستك، وعفا الله عن أفكارك التي أودت بك إلى مصيرك المحتوم ووقوفك في طابور العانسات.

(١) أمثلة عربية تُضرب لمن أضاع الفرصة من يده.

العـوانس يصـرخن:
معايرة الأهل أقسى من العنوسة[1]

نهاية الفتاة الطبيعية هي الزواج، فهي تختلف في ذلك عن الشاب قليلاً، فالشاب لا يتأثر إن تأخر زواجه أما الفتاة فتكون حساسة جداً في هذا المجال لذلك نرى الفتاة التي تأخر زواجها قلقة لأنها تشعر أن الوضع الطبيعي لها هو الزواج، وأن ما تعيشه يعتبر مرحلة انتظار، فمن الطبيعي أن يقلقها هذا الانتظار المهول ولكننا للأسف رأينا جانباً جديداً في حياة البعض، بل في حياة أقلية من هؤلاء الفتيات اللاتي تأخر زواجهن، من خلال قصة فتاة التقيناها صدفة وهي:

ر. د. ٣٠ سنة: هي تقول لم يأتِ نصيبـي حتى الآن وهذا لا دخل لي به، ولكن أمي كلما تشاجرْت معها تردد إن طبعي حاد وإنني عصبية ولذلك لا أحد يريد الزواج مني وهذا يصيبني بالتوتر أكثر، ومع أن كلام والدتي صحيح فأنا عصبية ولكن لا يحق لها أن تعيرني بذلك، وقد جعلني هذا أتجنب الحديث معها كي لا أسمع منها مثل هذا الكلام!!

جمانة ٣٣ سنة تقول: «معايرة الأهل لبناتهم اللاتي تأخر زواجهن مشكلة حقيقية بالنسبة لهؤلاء الفتيات» هكذا تبدأ «جمانة» التي أصرَّت على الإدلاء باسمها الأول لعل والدتها تقرأ هذه الكلمات وتضيف «عمري ٣٣ سنة ولم أتزوج حتى الآن، ووالدتي تعتقد أن السبب في

---

(١) المسلمون العدد (٥٨٩) الجمعة (٢٩) من ذي الحجة (١٤١٦هـ) ـ (١٧) مايو (١٩٩٦م).

ذلك هو أنني لا أملك قدراً كافياً من الجمال، وهي محقة في ذلك وهي تردد ذلك باستمرار، ليس لكي تضايقني ولكن لتشكي همها لوالدتها وأقاربها وصديقاتها وتتحسر عليَّ وتبكي دائماً على وضعي، وهي تحاول في بعض الأحيان مواساتي فتقول مثلاً: «ليتك كنت أكثر جمالا» وقد تعبر عن رأيها في حضور بعض الأقارب مما يحرجني كثيراً ويزيد وضعي سوءاً».

ل. ش. ٣٥ سنة: تقول: «والدي متوفى وأعيش مع والدتي وأخي وزوجته، وعلاقتي معهم عادية يغلب عليها الشجار، فزوجة أخي تريد الاستقلال بمنزل خاص بها وأخي يرفض أن يتركنا وحدنا، لذلك فهي تحاول إثارة الشجار بيننا عله يمل ويقرر الاستقلال، وعندما نتشاجر أنا وهي تقف أمي ضدي لا أدري لماذا، ربما لأنها تخاف أن تضايق زوجة أخي فتصر على ترك المنزل ويلحق بها أخي، ولكن ما يضايقني فعلاً ويحرجني هو ما توجهه لي أمي من الشتائم وتعيرني بعدم زواجي حتى الآن، وأجد نظرة الشماتة في عيون زوجة أخي، كما أن والدتي إذا غضبت مني فهي لا تناديني إلا بكلمتها المفضلة وهي يا «عانس» حتى في وجود الآخرين مما جعلني أشعر في كثير من الأحيان أنني أكرهها».

وتواجه م. ع. نفس المشكلة مع عائلتها، فهي تبلغ من العمر ٣٥ عاماً تقول: «والدي وإخوتي يذكرونني كثيراً بوضعي أحياناً بشكل مزاح كأن يقول لي أحد إخوتي مثلاً عندما أكون مشغولة بتزيين نفسي لحفلة زفاف، ولماذا تتزينين هل تأملين في الزواج الآن؟ كما أن والدي إذا لم يعجبه تصرف بدر مني أو إذا كان غاضباً فلا مناص من أن يعيرني بوضعي».

هل من المعقول أن نعامل بناتنا بهذا الشكل، خاصة اللاتي لم يتزوجن بعد؟

هل من المعقول أن نجعل فتياتنا يفقدن الثقة بأنفسهن؟

الزواج نصيب ولا دخل للفتاة به.

فلماذا نحملها مسؤولية تأخر نصيبها؟

ولماذا نحملها ما لا طاقة لها به؟

ولماذا نلومها على أمر ليست مسؤولة عنه ولا يد لها فيه؟!

واجبنا:

إن من الواجب علينا أن نراعي شعور بناتنا وأبنائنا، وأن نعطيهم الثقة بأنفسهم، ونُربيهم تربية إسلامية حقيقية، وأن لا نؤنبهم ونجرح شعورهم، ونهين كرامتهم التي وهبها الله لبني آدم حيث قال: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]. فيا أيها الآباء ارحموا أبناءكم يرحمكم ربكم.

انتحار ثلاث شقيقات عانسات

إن من الأمور التي يندى لها الجبين، وتقف أمامها العقول مشدوهة، أن نسمع إلى خبر انتحار ثلاث شقيقات لعدم زواجهن.

ولا يلبث أن يتبدد هذا القلق والانزعاج حينما نتأكد أنه لم يحدث في مجتمعنا الإسلامي الذي يعرف أنه جريمة من أكبر الجرائم التي حرمها الدين ونهى عنها الإسلام فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩].

ومشكلة العنوسة لم تكن قاصرة على الدول العربية الإسلامية فحسب بل جاوزتها إلى دول كثيرة أخرى.

ولقد نشرت جريدة «المدينة المنورة» في عددها ١٢١٠٦ الصادر بتاريخ الأحد ١ محرم سنة ١٤١٧هـ الخبر التالي:

انتحار ثلاث شقيقات لعدم زواجهن

قدِمتْ ثلاث أخوات هنديات على الانتحار بتناول مبيد للحشرات لعدم قدرتهن على احتمال فكرة البقاء بلا زواج. وقال ناطق باسم شرطة «بومباي» أن الأخوات الثلاث كن يعتبرن أن حظوظهن في الزواج تكاد تكون معدومة طالما بقيت الكبرى منهن من دون زواج، واعتبرن أنهن لا يملكن خياراً آخر سوى الانتحار.

وقد انتحرت الأخوات الثلاثة، فيجابانتي ٣٠ عاماً، وشاكونتالا ٢٥ عاماً، ويامونا سوفارنا ٢٠ عاماً مساء الخميس الماضي في ضاحية العاصمة الاقتصادية والمالية للهند.

وقال الناطق باسم الشرطة: إن والد المنتحرات الثلاثة أعلن أنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى، ورفض السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوج الأولى.

ويذكر أن معظم حالات الزواج في الهند يجري ترتيبها من قبل العائلات التي تختار لأبنائها أزواجاً من الفئة نفسها التي تنتمي إليها... وتتزوج الفتيات عموماً صغيرات السن ويجدن صعوبة في العثور على زوج بعد سن الخامسة والعشرين[1].

(١) هذا ما طالعتنا به جريدة المدينة في عددها (١٢١٠٦) الصادر بتاريخ الأحد (١) من محرم سنة (١٤١٧هـ).

المرأة قد تكون من عوامل العنوسة

والمقصود بالمرأة هنا... هي الأم أو ولية أمر الفتاة... والمقصود بالولية هي التي تحل محل الأم في حالة وفاتها.

ومن أهم العقبات التي تقف في طريق تحقيق الزواج ترك المرأة تتصرف في أمور ابنتها، ومزاولتها هذا ويكون سبب ذلك لأمرين:

الأول: أن الأب قد فارق الحياة وتشعر أنها مسؤولة عن ابنتها وتصرفاتها.

والثاني: أن لا يستخدم الرجل قوامته لأن شوكتها حادة وكلماتها نافذة، فإذا كانت الأولى فإنها إذا اختارت الخاطب المتقدم فغالباً تختاره بالعاطفة أي أنها تحكم عاطفتها وتلغي عقلها، وقد تخطىء وتصيب.

ولعل نتيجة تصرفها في زواج ابنتها فشل هذا الزواج وتعود الفتاة إلى دار العنوسة.

أما الحالة الثانية: ـ أي في حالة المرأة قوية الشكيمة ـ فلا يمكن بحال أن تتحقق على يديها خطبة لما جبلت عليه من انفعال وعاطفة، وبما يستهويها من مظاهر العصر، وبريق المادة، وحب المال، بما تعتقده من أن العرف هو المسيطر دون سواه، ولو كان محاكاة وتقليداً، فمن أجل هذا كله لا يمكن أن يتم على يديها زواج، وتتسبب في عنوسة ابنتها، إلا إذا كانت رشيدة عاقلة مؤمنة، تزن الأمور بميزان الشرع. وتقيس الأشياء بمقياس المصلحة والعقل، فإن الخطوبة تتم، والزواج

يتيسر، دون أن تعكره العواطف، وتنال منه الأهواء.

ومن تلك الأمهات، من تقف في طريق الخاطب وترفضه إما لكبر سنه، أو لتعلمه المتوسط، أو لقلة ذات اليد عنده، وتظل ترفض وترفض حتى تعنِّس فتاتها، وقد يكون العرض من قبل ما يسمونها بالخاطبة، وبئس الاسم وبئس الخصال، فمعظم الزيجات التي تتم على يديها يكون مآلها الفشل، إما مستقبلاً أو عاجلاً، وتتكدس العانسات بسبب تلك المرأة، فهذه الخاطبة ـ كما يسمونها ـ شر مستطير وخطر مبين، فالكذب شعارها، والتدليس مبدؤها، تقدم للخاطب العروس العوراء على أنها ذات العيون البراقة الجذابة، وتقدم الدميمة على أنها زهرة الفتيات، والقصيرة طويلة القوام، ولا يقف أمامها أو أمام خداعها مانع، فتأتي بصورة أخرى من الصور غير العروس وتقدمها على أنها هي الطلب المطلوب والحب المنشود، فإذا مرَّت خدعتها وتقدم الخاطب للمخطوبة تكون الخاطبة أمام أمرين أحلاهما مر.

أما الأمر الأول: فتفهّم أهل العروس أن تختفي الفتاة ولا تظهر إلا بعد عقد القران، وعندها يرى الخاطب زوجته فيرى أوصافاً غير الأوصاف وملامح غير التي قُدمت إليه أو أشير بها عليه، وهو بالخيار إما يَقْبل أو يفر، وغالباً ما يفر تاركاً ما قد يكون تقدم به من الهدايا وخلافه، وتصير المشاكل... وتتفاقم الأمور وقد تصل إلى القضاء، ويَنْتَشر الخبر فيعزف كل من يريدها لنفسه عنها لما يعرفه من غش وتدليس.

أما الأمر الثاني: فَيُصِر الخاطب على رؤية العروس فإذا لم تستَبْدَل بأختها أو جارتها وظهرت بِقدها وقوامها وحَوَرِهَا وطُولِهَا أو قصرها، فيعتذر الخاطب ويفر، ثم يأتي آخر ويفر، وهكذا دواليك، وتتعنس الفتاة.

وتقول الخاطبة إنها تلجأ لمثل تلك الحيلة لأنها رأت ما فيها

فأرادت أن تخفي عيوبها وتتستر عليها.

وهذا عذر أقبح من ذنب، ففي أي شرع يجيز لك ذلك وفي أي الأديان أن الخداع والغش مطلوب؟ لا عليك أيتها الخاطبة، فالعيب في أم الفتاة، فلو أنها لم ترض بهذا الفعل الفاضح لوجدَت لابنتها ما يناسبها ويسايرها.

هذه عوامل لانتشار العنوسة بين الفتيات، ولو أن الرجال وقفوا تجاه هذه المشاكل موقفاً حازماً لما كسدت سوق الزواج، ولما أصبحت المئات من الفتيات عازبات عانسات.

ولو أن الرجال نظروا إلى هذا الأمر بعين الحكمة والمصلحة، وقدروا ما ينتج عن كساد سوق الزواج من مفاسد... لما تركوا المجال للنساء في أن يتصرفن تلك التصرفات الهوجاء سواء تعقيد أمر الخطوبة أو تصعيب أمر الزواج.

إن الأولياء والآباء لو تدبروا ما يقع في المجتمعات من فواحش وما يصيب الأمم من موبقات وتحسسوا أخطار الرذيلة... لما ترددوا لحظة في تزويج بناتهم للخاطب الكفء، والرجل الصالح الخلوق، حتى ولو كان ضعيف الحال من مال وجاه وعمل.

لقد عنَّست الأمهات ـ اللاتي لم تراعين للآباء حقوقهم ولا قوامتهم ـ، فتبقى الأم سنوات تقوم بعمل الخاطبة لولدها، وتدخل بيوت الفتيات، هذه قصيرة، والثانية ليست خمرية، وتلك كبيرة في السن، إنها تريد عروساً صُنعت خصيصاً لابنها لا عوج فيها ولا نقصان، صفات مرسومة في ذهنها تجعلها تعترض على خِلْقَة الله، وأخيراً يستحوذ عليها اليأس وتعود دائماً من كل زيارة بخفَي حنين، إنها لم تجد ذات غصن البان والجمال والمال والحسب.

وكأن التي فيها أدنى عيب حتى ولو كان غير ظاهر وتكتشفه الأم

بخبرتها وممارستها ومتوسطات الجمال وحتى الدميمات خُلِقْن لأجل أن يظلَلْن في المجتمع كاسدات عازبات عانسات.

بل ربما يكاد الزواج أن يتم ويكاد عقد القران أن ينتهي وإذ بسوء تصرف بعض الأمهات من النساء الحمقاوات وطيش تَدَخُّلِهن ينهي كل ما تم وينقطع الحبل، وتنفصم الرابطة، وتشتعل نار العداوة بين الأسرتين، وتنتهي تلك الحالة المؤلمة إلى نتائج لا تحمد عقباها بسبب هذا التصرف الأهوج، ويكون من تلك النتائج السمعة السيئة التي تصيب الفتاة فلا يأتيها آت من قريب أو بعيد، وتظل راكدة في بيت أهلها حتى تقف في طابور العانسات.

وليس هذا معناه إهمال المرأة ومشورتها وأخذ رأيها، إنما الأمر أن تتسلط المرأة وتصبح الآمرة الناهية، بيدها عقدة الربط والحل.

فالرجل لا يهمل رأي المرأة في أمور الخطبة والزواج، لأن الإسلام احترم رأي المرأة وأمر الأزواج بأن يستشيروا زوجاتهم في تزويج بناتهن.

قال رسول الله ﷺ: «**آمروا النِّسَاءَ (أي اسْتشِيرُوهُنَّ) فِي بَنَاتِهِن**»[1].

ولنا في رسول الله أسوة حسنة فكان ﷺ يستشير زوجاته حتى في أدق الأمور. فالرسول ﷺ لما انتهى من التوقيع على صلح الحديبية أمر أصحابه في أن يُحِلُّوا العمرة ويذبحوا ما معهم من هدي... فتلكَّأ الصحابة في تنفيذ هذا الأمر، فما كان من أم سلمة رضي الله عنها إلا أن أشارت إلى النبي ﷺ في أن يذبح هديه أمامهم حتى يتأسَّى به الناس، وسارع الصحابة إلى التأسِّي بالمصطفى ﷺ، وكان في رأي أم سلمة رضي الله عنها زوجة الرسول ﷺ سلامة المؤمنين من الإثم ونجاتهم من

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

عاقبة المخالفة لأمر النبـي صلوات الله عليه.

فتجب الاستشارة على أن يقف الرجل موقفاً حاسماً إذا رأى المرأة سارت في أمور الخطبة مع عواطفها وأهوائها ولم تراع في خطبتها مبادىء الشرع، ومنهج الإسلام فالله سبحانه وتعالى أعطاه حق القوامة... قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ...﴾ [النساء: ٣٤].

وظهور القوامة في حالة تعقيد المرأة سبل الزواج بمطالب ما أنزل الله بها من سلطان وبشرائط لم تُسْتَوْح من دين، ولم تنبثق من مبادىء الإسلام.

إن الحل لمشكلة سوء تصرف المرأة ـ سواء كانت أمًّا أو ولية أمر ـ، هو أن يقف الأب أو الولي تجاه التصرفات غير الحكيمة موقفاً حاسماً وأن يتولى الأمور بنفسه، وأن يستشعر بمسؤوليته نحو أهله، وأن يعرف أن الله سبحانه وتعالى اختصه بحق ليضع الأمور في نصابها دون ظلم، ويقوم بمسؤوليته خير قيام دون استبداد.

فوقوف الولي هذا الموقف واستعمال حق قوامته يجعل سوق الزواج رائجاً وأن كثيراً من المشاكل ستنحل على يديه.

وسيجد راغبو الزواج الطريق إلى الزواج مذللاً سهلاً وبذلك توصد أبواب العنوسة أمام فتيانهم وفتياتهم.

الجَمالُ والعنُوسة

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق من آدم وخلق حواء من ضلع أعوج فيه، أصبحت حواء زوجة لآدم وهو زوج لها، لا مفر أمام اختيارها، لا هناك لون للبشرة ولا ما شابه ذلك، ويعمر الكون، ويأتي نوح وينجب من الأطفال من هم أصل للعنصر البشري، «فحام» أبو الأصل البشري في أفريقيا وهم يغلب عليهم اللون القمحي، بل احتمال اللون الأسود وغلبته، «وسام» أصل العرب بما فيهم من ألوان للبشرية مختلفة، وأما «يافث» فهو أصل البشرية الغربية ويتميزون ببشرتهم البيضاء.

ومن هذه المقولة نلاحظ، أن البشر جميعاً ينسبون إلى آدم وخلق الله آدم من تراب، وسيعود الخلق إلى التراب، يقول تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥] هذا هو بداية ونهاية البشرية.

إن الشباب حينما ينوي الزواج، يملي على والدته أو أخته أو خالته أو عمته شروطه في العروسة فيشترط أن تكون:

جميلة. . . وطولها كذا، وخصرها كذا وعيونها كذا.

وكذلك تشترط الفتاة:

أن يكون العريس من أصل كذا، وإيراده كذا، وممتلكاته كذا، ومواصفاته كذا، وثقافته كذا. . . و. . . و. . و. . . و. . . .

ونسي هؤلاء جميعاً أن الحياة الزوجية عبادة، يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم

﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فالمتدبر لأمر الله والمتفكر في هذه الآية الكريمة يجد أن المرأة آية من آيات الله، خلقها من نفس الرجال، لا من طينة أخرى، وخلقها لتكون زوجة فإنما هي وسيلة إلى هدف كريم، وهي من فرع كريم ومن أصل كريم، يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فكيف يخالف الشباب ربهم بتلك الشروط والأوصاف المعجزة وتكون النتيجة لا زواج، وتسبب في عدم زواج الفتيات... بل دفعه بهن إلى طريق العنوسة.

يقول ﷺ: «**حُبِّبَ إليّ من دُنْيَاكُم: النِّسَاءُ والطِّيب! وجُعلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاة**»(١).

فرسول الله ﷺ بيَّن منزلة النساء والتقرب إليهن والزواج منهن لأنهن مصابيح البيوت وعمارها وأنسها، ومنبت الأولاد وأسسها.

وصدق القائل:

إن النساء رياحين خلقن لكم... وكلكم يشتهي شم الرياحين.

وهل الجمال هو المقصود بجمال البشرة كما يفهم ذلك الشباب والشابات؟ في حديث رسول الله ﷺ يقول: «**تُنْكَح المرأةُ لأرْبع لِمَالِها، ولحَسَبِها، ولدِينَها ولِجَمَالِهَا، فاظفر بِذَاتِ الدين تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(٢).

والجمال مطلوب ولكنه ليس كل شيء، فالجمال ليس جمال البشرة والهيئة فقط.

فما فائدة جمال البشرة مع سوء الخلق، أو مع معصية الله، أو مع

---

(١) أخرجه النسائي وأحمد بن حنبل والحاكم وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

التمرد على خلق الله، الجمال الشامل هو المطلوب وقد وَضُح ذلك في حديث رسول الله ﷺ: «انظر إلَيْهَا فإنَّه أحْرى أن يُؤْدَم بَيْنكُما»[1] فالوفاق والميل القلبـي هام جداً في مثل تلك الأحوال، ولعل في تلك المحادثة إنذاراً إلى هؤلاء الذين يتشبَّثون بالجمال والنضارة.

جاء في كتاب «السعادة الزوجية في الإسلام»[2]:

كنت أستمع إلى المذياع يوماً، فسئل رجل:

هل تحب أن تكون امرأتك جميلة جداً؟

قال الرجل: لا!!

قيل له: هل هناك أحد يكره الجمال الفتان؟

قال الرجل: إن الجمال الفتان يعقبه دلال فتان ومشكلات لا تنتهي.

شروط ثانوية لو تحققت فَبِها ونَعِمْتَ، وإذا لم تتوفر أيلجأ الشباب إلى العزوف عن الزواج ويرتكب ما يرتكب من الموبقات؟ هذا إلى بقاء الفتيات دون زواج.

وفي شرط المال والثراء، نرى كثيراً من الشباب أو الشابات يضعونه نصب أعينهم قائلين «تأمين الحياة»، فأين قراءتكم في كتاب الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

أنترك الفقيرات لحياة العنوسة؟ أنَقُول لَهُنَّ أغْلقْن أبوابكن دون الرجال فأنتن فقيرات... نظرة إلى الآية السابقة يشع منها نور الإيمان بالله.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند والدارمي في السنن وابن ماجه من حديث عن المغيرة بن شعبة.
(٢) السعادة الزوجية في الإسلام للأستاذ/ محمود الصباغ.

ثم بقية الأوصاف التي يتمسك بها الذين يريدون الزواج أو اللاتي تؤهلهن سنهن للزواج، أما علموا أن فقدانها فقدان لهم إلى أن يلقوا الله وهم نادمون على ما اقترفت أيديهم وعلى سطحية تفكيرهم؟

على الفتيات والفتيان التفكر في أمورهم وليتخذوا من رسول الله ﷺ وصحابته قدوة حسنة يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولننظر كيف كان زواج الصحابة عليهم أفضل السلام.

فقد كان أحد الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه.

ويبيت عنده ليلبي أمره إذا نَزَلَتْ بالرسول ﷺ حاجة.

فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا تَتَزوج**»؟

فقال: يا رسول الله إني فقير لا شيء لي، وأنقطع عن خدمتك؟

فسكت ثم عاد ثانياً، فأعاد الجواب، ثم فكر الصحابي وقال: «والله لَرَسُولُ الله ﷺ أعلم بما يُصْلحني في دنياي وآخرتي، وما يقرِّبني إلى الله، ولئن قال لي الثالثة لأفعلَنَّ، فقال له الثالثة: «**ألا تتزوج**»؟.

فقال: يا رسول الله زوجني.

فقال ﷺ: «**اذهبْ إلى بَني فُلانٍ، فَقُلْ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يأمركُمْ أنْ تزَوِّجُونِي فَتَاتَكُمْ**».

فقال: يا رسول الله لا شيء لي (أي لا يملك شيئاً).

فقال ﷺ لأصحابه: «**اجْمَعُوا لأخيكُم وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَب**» فجمعوا له، وذهبوا به إلى القوم فزوجوه. وجمع له أصحابه شاة للفضيلة[1].

هؤلاء هم صحابة رسول الله ﷺ، لم يشترطوا جمالاً أو مالاً،

---

(١) رواه أحمد في مسنده... حديث صحيح.

ولكن الاختيار هو اختيار المتمسكة بدينها والعابدة لربها، المطيعة لنبيها، واختيار الزوج الصالح الطيب المؤمن بربه والعامل بكتابه والمقتدي لسنة نبيه عملاً بقول المصطفى ﷺ: **«إذا أتَاكُمْ مَنْ تَرضَوْن دِينَه وخُلُقَه فأنْكِحُوه إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وفَسَادٌ»**[1].

وبهذا نغلق أبواب العنوسة ونُمْحي لفظها من قاموس الحياة.

(١) رواه الترمذي.

الإعالة عنستني

لقد كفل الإسلام للأسرة الحياة الكريمة من مسكن وملبس ومطعم، وأمر الوالدين بذلك، وتزدهر الأسرة في كنف الأب الذي لا يدخر الجهد أو المال في سبيل إسعاد أسرته، ويُخَطِّط لتلك الأسرة، فغداً سيكون ـ إن شاء الله ـ هذا طبيباً، والآخر مدرساً، والثالث من علماء الدين، وهذه الفتاة يكفي عليها من التعليم أوسطه، وتربيها أمُّها التربية التي تجعلها مُنشَّأة لبيت قوامه السعادة وعماده الاستقرار، وشعاره الطاعة لله رب العالمين.

وما أجمل أحلام اليقظة، فإنها تنتشل المرء من براثن الدنيا ومفاتنها، وينساب الأب مع أوهامه وتخيلاته يستعجل الخُطى، ويمد الأيدي بالتقويم للأبناء كَمَنْ يغرس غرساً، ـ وحتى يراه مستقيماً ـ يتعهده بالملاحظة والريِّ والغذاء والسنَّادات حتى لا يعوج.

هكذا الأبناء فهم سند الأب بعد الله سبحانه وتعالى في سن الشيخوخة يوم لا يقدر الأب أو الأم على الحركة ويوم يفارقهما الشباب وتُقْعدهما السن المتقدمة، ولهذا يعمل الآباء والأمهات على تنشئة أولادهم النشأة الصالحة، فهم ذخر لهذا اليوم العصيب يوم الشيب وتقوس الظهر، وكذلك الفتيات حتى يقدِّمْن لأولادهن وأزواجهن ما يرضي الله ورسوله.

وفجأة يزور الأسرة هاذم اللذات[1]، فينتقل الأب إلى الرفيق الأعلى، ويحدث الخلل بفقدان الأب بين الأبناء والزوجة، وتشمر البنت الكبرى أو الولد الأكبر عن ساعد الجد كي تحافظ على تلك الأسرة، فتجتهد في دراستها إذا لم تكن أكملت بعد، ثم تحاول الالتحاق بأي عمل كي تنفق من أجره على إخوتها وتقوم أو يقوم الابن

---

(١) هاذم اللذات يعني الموت.

مكان الأب، ويكبر الأبناء ويتهيأون للحياة، ويأبى الفتى أو الفتاة إلا أن تطمئن على حياتهم المستقبلية، فترفض الزواج أو مجرد حتى الارتباط إلى أن ينتهي الإخوة من دراستهم ويتزوجون، فإذا جاء الخاطب ترفض إلى أن تنتهي رسالتها الأساسية وتنتهي تلك الرسالة بتزويج الأخ الأصغر أو الأخت الصغرى، وتمر الأيام حتى إذا رأت ثمرة جدها واجتهادها ظللتها غمامة العنوسة.

كم من فتى أو رجل أضربوا عن الزواج للقيام على أخواتهم الأيتام أو الفقراء بالإنفاق والرعاية؟.

ومثل هذه الفتاة التي ماتت أمها عن صغار لا يقوم على خدمتهم أحد، ويعجز والدهم ـ إن كان موجوداً ـ عن هذه الخدمة سواء بنفسه أو بماله، فهي نذرت نفسها خادمة لإخوتها حتى يكبروا ويستطيعوا خدمة أنفسهم والاستغناء عن خدمة النساء.

ومن هذا القبيل تلك الزوجة التي مات عنها زوجها وتركها مع أطفال ضعاف فترفض الزواج رعاية لأولادها وحرصاً على تربيتهم.

إن أمثال هؤلاء الفتيات وأمثال هؤلاء الرجال وأمثال هؤلاء النسوة كثير في المجتمعات.

وهذه الحالات إذا تركت بشكلها هذا، فهي إكثار للعانسات، وهذا مرضٌ إذا تفشى في المجتمعات كانت آثاره سيئة منها: إقلال النسل وهذا يتنافى مع مبادىء الإسلام، فالرسول ﷺ أمرنا بالتكاثر. ففي التكاثر حماية للأمة الإسلامية وقوة رادعة ضد أعدائها.

ومن تلك الآفات كذلك انتشار الرذيلة بين الشباب، وخاصة ذلك الذي لم يرب التربية الإسلامية القوية.

ولكن السؤال ماذا تفعل الفتاة أو الفتى اللذين أجبرتهما الأحوال الأسرية بظروفها السيئة كي يسيرا هذا الطريق؟.

والحل في ذلك هو أن من بين المسلمين من غرس الله في قلوبهم الرحمة والرأفة وهؤلاء يقبلون الزواج من أمثال تلك الفتاة. . . فما المانع؟.

فالخاطب يمكنه طمأنة الفتاة إلى ترك الراتب كاملاً لإخوتها، وإذا كان أكثر حرصاً فبإمكان الفتاة وزوجها ـ إذا ارتضت بالخاطب زوجاً ـ أن يكونا على قرب من هؤلاء الإخوة سواء بالزيارة المستمرة أو السكن إلى جوارهم، وحتى يكون الاطمئنان أكثر فلا مانع من استدعاء إحدى القريبات كبار السن والتي تكون في دور القرابة القريبة (هذا في حالة عدم وجود الأم) أما إذا كانت الأم موجودة فأعذار الفتاة واهية للارتباط بالغير، وعليها ألا تتخذ من إخوتها ستاراً أو عذراً لعدم الزواج فإذا لم تتعلق بثياب الزوج اليوم فغداً ربما لا تراه.

وكذلك الشاب هل هناك مانع من أن يدحض حجته ويتزوج وتكون زوجته مع أمه وإخوته في بيت واحد، وإذا تعذر ذلك لضيق المسكن فليأخذ مكاناً أفسح من هذا المكان، وإذا رأى مكاناً إلى جوارهم فهذا أفضل كثيراً لأنه بفعلته تلك ـ أي عدم الزواج ـ عطل شريعة من شرائع الإسلام وهدفاً سامياً من أهدافه، حتى وإن صام وأكثر الصيام فما دام عنده استطاعة الباءة فلا عذر له في الزواج، وبهذا يغلق باباً من أبواب الشيطان، وينفذ هدي رسول الله ﷺ في النكاح، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج.

ولا يرى أحد أن في ذلك تضارباً ـ مهما كان ـ بين تربية الإخوة والزوجة الجديدة، بل الزوجة ستكون أمًّا لهم ما دامت صالحة وسيكون أبناؤها أبناء المستقبل في كنف أعمامهم وعماتهم يتأسون بأخلاقهم التي رباهم عليها أبوهم وهم يشعرون الحنان والدفء في أركان تلك الأسرة.

وبهذا العمل وهذا التصرف لا نهمل أيَّ لَبِنة من لبنات الإسلام، ويكون الفتى والفتاة في طاعة ربهما عاملين بكتابه، منفذين لسنة نبيه ﷺ وهنا تَجُرُّ العنوسة أذيال الخيبة إلى غير رجعة.

العنوسة مسؤولية مَن؟[1]

صرخات مكبوتة وآهات مخنوقة تود لو أنها تخرج للآفاق معلنة عن نفسها لتأخذ حقها بإنصاف وعدل، إنها صرخات أولئك اللواتي فاتهن قطار الزواج.

العنوسة مسؤولية مَن؟ وكيف التخلص منها؟ بل وكيف الوقاية من حدوثها؟

تساؤلات عديدة تطرح حول هذه المشكلة الاجتماعية التي باتت تشكل خطراً محدقاً ببناتنا وأولادنا ولا نجد لحلها سبيلاً لعدة أسباب سوف نتناول شيئاً منها:

يحق لنا أن نلقي بعض اللوم على مجتمعاتنا وعاداتها المتزمتة، وأقصد بالمجتمع هنا الأسرة الصغيرة قبل الكبيرة، حيث إن الأهل يتشددون في مطالبهم نحو كل مَن يتقدم لخطبة بناتهم وكأنهم يقصدون أن تظل تلك البنت مخلدة في ظل العزوبية. قد لا يظن الأب أو الأم أنهما بحرمانهما هذه البنت من الزواج بسبب رفضهما لكل من يتقدم لبناتهما أنهما يلقيان بها نحو الهاوية، ويسببان انحرافاً اجتماعياً من الصعب التوصل إلى حلول له، فقد تلجأ البنت إلى إفراغ تلك الضغوط المكبوتة في أعماقها باللجوء إلى أساليب غير مشروعة مما لا تحمد عقباها، وقد تضطر الأخريات إلى القضاء على أنوثتهن أو التقوقع على أنفسهن في قمقم العزلة أو الاسترجال مما يدفع المرأة إلى الخروج عن إطار المرأة الرقيقة ليضعها في موضوع متأزم يحطم نفسيتها وأنوثتها،

(١) مجلة النور ـ العدد (١١٨) ربيع الأول (١٤١٥هـ) ـ أم مصعب المطوع.

فبالتالي تتحطم كل القيم والمثل التي يود أي مجتمع راق أن يصل إليها.

عدا عن أن هذا التنكر لحق المرأة في اختيار الزوج ذي الخلق الحسن هو مطلب شرعي لا يحق للأهل التصدي له لأسباب لا يتقبلها عقل بشري، فقد يرفض الأبُ الشاب لأنه فقير أو لأنه يحمل جنسية أخرى غير جنسية البنت، متناسياً قول رسول الله ﷺ: «**إذا جَاءَكم مَن ترضَوْن دِينَه وَخُلُقه فزَوجوه**»[1] والفقر يسهل التغلب عليه؛ فبيت بسيط يكفي لاستقرار زوجين، وأظن أنه لا زوج يُقبل على الخطبة وهو فارغ اليدين، ولكن بعض طلبات الآباء المرتفعة من مهور وحفلات وبيوت وسيارات تجعل من الزوج كارهاً للزواج أو هارباً إلى ذوات الجنسيات الأخرى مما ينشىء مشكلة أخطر وهي عزوف الشباب عن بنت البلد واللجوء لسواها مما يؤدي إلى زيادة نسبة العنوسة أكثر من السابق.

أما عن الشاب الخاطب، فقد يكون سبباً في العنوسة، فكم رأينا شباباً يدرسون في الخارج (ولا ضير من دراستهم) ولكن الأدهى والأمر أن يأتي بعض الشباب عازفين عن الزواج من بنت البلد يريدونها سافرة منطلقة بلا قيد، وقد يجد وقد لا يجد، وإن لم يجد فرّ إلى حيث جاء واختار ممن لا يعرف من أخلاقهن أو دينهن شيئاً، وترك بنت العم أو بنت البلد تقضم أظافرها حرقة وندماً عليه وعلى فوات قطار الزواج.

أما عن كون المرأة سبباً في العنوسة، فإن بعض النساء يتمادين في طلباتهن متخذات من تطور الحياة العصرية ذريعة لتحقيق أمنياتهن. وأنا لست ضد تحقيق الرغبات ولكن لكل مطلب حدوداً.

والسبب الثاني: أننا نحن مجتمع النساء نتمتع بأنانية لا حدود لها، فكل منا تغلق الأبواب على زوجها خوفاً من أن يتزوج بسواها

(١) رواه الترمذي.

ونتناسى أن تعدد الزوجات لم يشرعه الله من أجل أطماع الزوج الجنسية والجمالية؛ بل من أجل أهداف أسمى وأغلى، كالحفاظ على التناسل في حال عدم إنجاب المرأة مثلاً، أو في حالة استحالة الحياة الزوجية بسبب أحد الزوجين أو كليهما، أو بسبب كثرة النساء وتفشي الفساد فيكون الزواج هنا جنة. وما يعنينا هنا هو كثرة النساء وبالتالي انتشار العنوسة مما يدفع الرجل إلى الزواج مثنى أو ثلاث مع تحري العدل قدر الإمكان إلا بالمشاعر التي من الصعب العدل فيها لقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء: ١٢٩].

ولكن هنا بعض الحالات التي تكون فيها المرأة غير جديرة بأن تكون زوجة بسبب سوء تصرفاتها أو مطالبها الكثيرة فينصرف الرجل عن الاقتران بزوجة واحدة فكيف بالاثنتين؟ وتظل المشكلة قائمة والعنوسة في تزايد بين النساء والرجال، ولا مجال لحل تلك المشاكل إلا بوعي شامل متكامل بديننا الحنيف لتلافي التردي والوقوع في الرذيلة، وأظن أن الحل واضح للعيان؛ فصقل أنفسنا وتهذيب أخلاقنا أول الطريق نحو القضاء على هذه الآفة الاجتماعية التي فتحت أبواباً من الرذيلة من الصعب إغلاقها.

قصص وعبر
في قضية العنوسة[1]

[١] ـ **وداد موظفة ٣٢ سنة تقول**: في الماضي تقدم لي خطَّابٌ مناَسِبُون جداً، ولكن كانت أحلامي كبيرة، فنحن عائلة متوسطة الثراء، وأنا كنت أحلم بالڤيلا الضخمة والسيارة الفارهة، والملابس الفاخرة، ولم يتوفر هذا الشرط في كل من تقدم لي بالرغم من أن أغلبهم يتمتع بحالة مادية جيدة نوعا ما!

وكلما تقدم بـي العمر قلَّت فرصة زواجي إلى أن أصبحت في الثانية والثلاثين، وقد اكتشفت الآن أن المال ليس كل شيء خاصة عندما أرى صديقاتي؟! كل واحدة في بيتها مع زوجها وأنا نادمة جداً، ولكن للأسف ندمي جاء متأخراً بعض الشيء.

[٢] ـ **سهير مدرسة في إحدى المدارس الخاصة ٣٦ سنة تعترف**: بأنها لم تفهم القواعد الشرعية التي يقوم عليها الزواج وتقول: كنت دائماً أحلم بالحب، وكنت مصممة على الارتباط بشخص أحبه قبل أن أتزوجه! برغم أن الجميع كانوا يقولون لي إنّ الحب يأتي مع العشرة، غير أنني لم أقتنع، وحاولت البحث عن هذا، ومررت بتجربة انتهت باكتشافي أنني كنت فريسة سهلة لشاب عابث أضعْت معه سنوات عمري وانتهت بزواجه من ابنة عمه، والآن وقد أصبح عمري ٣٦ سنة، فأنا نادمة جداً!!

[٣] ـ **فاطمة ٣٠ سنة**: وقد مرَّتْ بتجربة سهير وتعرفَتْ على عدد

---

(١) جريدة المسلمون العدد (٤٢٧)، (١٤١٣هـ).

من الشباب لاختيار المناسب! وكانت النتيجة سمعة سيئة، وبَعُدَ الناس عنها!!

[٤] ـ **رولا ٣٠ سنة**: وضعت شرطاً لا تتنازل عنه وهو الارتباط بشاب وسيم... وانتظرت... ورفضت البعض، ولم يحضر الذي يملك المواصفات، واكتشفت كما تقول: كم كنت سخيفة لأنني أضعت مستقبلي لأجل شيء لا يدوم، ولم أبحث سوى عن المظهر، وكانت النتيجة أن فاتني قطار الزواج.

[٥] ـ **أسماء ٣٣ سنة**: لم يكن يُعْجبها العجب عندما كانت في العشرينيات، وهي كما تقول: والآن أنا مضطرة لقبول أي عريس هرباً من عنوستي.

[٦] ـ **رجاء ٣٥ سنة تقول**: كنت أبحث عن الرجل الكامل فكلما تقدم لي أحدهم أجد به عيباً ما، وكثيراً ما تكون هذه العيوب صغيرة ـ كما اكتشفت ذلك مؤخراً ـ أو من الممكن التغلب عليها، ولكنني كنت على ثقة تامة بأنني سأجد الرجل الكامل الخالي من العيوب، فقد كنت جميلة جداً، وكان يتقدم لي الكثير من الشباب، وكنت أرفضهم جميعاً، إما لأنه قصير بعض الشيء، أو لأنه مثلاً يضع نظارات، وغير ذلك من الأسباب التي صور لي خيالي المريض أنها عيوب خطيرة لا أستطيع احتمالها... إلى أن اكتشفت ـ بعد أن فاتني قطار الزواج ـ أن لا أحد خال من العيوب، واكتشفت أن العيب لم يكن إلا في شخصيتي أنا، وشرطي غير المعقول[١].

[٧] ـ **مال وجاه وشهادة لا تساوي ضحكة طفلة في حضن أمها**: نَشَأت في بيئة متدينة... وكانت من الأوائل منذ الابتدائي والمتوسط والثانوي. وأثناء الدراسة الثانوية... تقدم لها الخطاب... لا لجمالها

---

(١) انتهى المرجع السابق.

فجمالها متوسط، ولا لثقافتها فهي ما زالت في الثانوية، ولكن لتدينها، ولتدين والدها، ووالدتها.

وكثر الخطَّاب... هذا صغير السن، وهذا فقير، وهذا من عائلة بسيطة. وكان والدها رجلاً متديناً يريدها أن توافق على الزواج، ولكن كان ردها دائماً لم يحضر الرجل المناسب.

ودخلتْ كلية الطب وانشغلت بالدراسة وكان السهر في المذاكرة سبباً من أسباب... ظهور تقدم السن بها....

ما زال الخطَّاب يحضرون لا لجمالها... ولا لحسبها ونسبها... ولكن... لحسن سيرة والدها.

وأصرَّتْ على الرفض، حتى الانتهاء، من الدراسة، وانتهت الدراسة، بتفوق في مادتها، وانقطع الخطاب.

ورجع والدها، ووالدتها، إلى الذين تقدموا إليها سابقاً للتعرف على حالهم ولكنهم قد ارتبطوا بالزواج من أخريات.

بدأت تضع راتبها في البنك، واستثمرت تلك المبالغ فزاد ربحها، وانتظرت عسى أن يتقدم إليها أحدُ زملائها فلم تجد، ولم يتقدم إليها أحدٌ فلقد ذهب بقية الجمال وذبلت الوردة التي كانت بالأمس يانعة وبقي المال، وماذا ينفع المال؟

ونالت (الماجستير)، ثم (الدكتوراه) ونالت الشهرة في مهنتها وكثر مالها، ولكن أين سعادتها؟

إنها ترجع من المستشفى مهمومة.

وبدأ أهلها يبحثون لها عن عريس، فصديقاتها تزوجن وأنجبن، وكلما زارت إحدى صديقاتها القدامى، وَوَجدتْها سعيدة مع أولادها، خرجت

باكية حزينة، تلعن المال، وتلعن الشهادة، وتلعن الجاه، وتلعن كل شيء أخَّرها عن الزواج، وتقول لنفسها يا ليتني سمعت كلام أهلي، يا ليتني نفذت الشرع الحنيف، يا ليتني يا ليتني وهي تُظهر حسرتها وندمها ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم.

[٨] ـ **ذهب الخطَّاب... بزوال مال أبيها**: رجل أعمال ناجح جداً في عمله، وملتزم بتعاليم دينه وكبرت البنت ودخلت الجامعة والخطاب ثلاثة أصناف... صنف أرادها لثراء والدها، وصنف طلبها لتديُّن أبويها، وصنف أحبها لجمالها إلا أنَّ رَدَّها كان دائماً هذا ليس على المستوى هذا وإن كان دكتوراً في الجامعة إلا أنه من بيئة غير مناسبة، وهذا صغير السن، وهذا ليس لديه موردٌ كبير ليلبـي حاجاتي، وهذا، وهذا، وهذا!!!

ومرت الأيام، وانتهت من الدراسة، وانتظرت الخطَّاب عسى أن يحضر العريس المرسوم في مخيلتها.

وفجأة ذهبت أموال أبيها، وتبددت تلك الثروة، إثر وقوعه في كارثة مالية أطاحت بكل شيء، وكانت تجادل أباها دائماً في موضوع «تعدد الزوجات» ويشتد النقاش بينهما في هذا الموضوع إلى حد كبير، حتى إنه في إحدى المناقشات غضب عليها أبوها لإصرارها على رأيها، واستمرارها في تعنتها، وبعد أن ذهب الخطاب أصبحت هي التي تنادي بمبدأ تعدد الزوجات وأحست بأنه السبيل الوحيد لعلاج العنوسة المتفشية والقضاء عليها، إنها أصبحت راضية الآن بالتعدد، وتقبل أن تعيش في حماية رجل حتى ولو كان متزوجاً بأكثر من واحدة ولكن أين هم الرجال الآن؟

زميلاتها في الجامعة، تزوجن، وأنجبن، وأحياناً تذهب لزيارتهن وترجع متحسرة باكية، وفي إحدى الزيارات وجدت عند إحدى زميلاتها صورة لطفلتها فأخذت تحضنها وكأنها تقول لنفسها (آه على قطار قد

فات! . . . آه على نعمة الأولاد!).

[٩] ـ **لم ترض إلا بابن الباشا فلم تجد حتى ابن الأفندي**: في بعض الدول العربية كانت تقسم الناس إلى الفئات التالية:

فئة الباشوات: وهي الفئة الغنية من أصحاب المزارع الكبيرة والمناصب الحساسة.

وفئة الباكوات: وهي الفئة ذات المزارع المتوسطة، والعقارات والمناصب الكبيرة.

وفئة الأفنديات: وهي فئة موظفي الدولة وعامة الناس المثقفين وكانت صاحبتنا بنت «البيك» جميلة في منظرها، تتمتع بشعرها الذهبي، وقدها الممشوق، ولونها الجذاب المرموق، وهي في المرحلة الثانوية خطبها كثير من أولاد الباكوات والأفنديات ولكنها كانت تحلم بابن الباشا، وانتظرت ابن الباشا كثيراً فلم يحضر في هذه المرحلة، ورفضت ابن الأفندي لأنه ليس لديه سيارة «كادلاك» ولا فيلا.

ودخلت كلية الهندسة، وتهافت عليها أولاد الباكوات والأفنديات، إلا أنها كانت لا تقبل إلا ابن الباشا الذي يملك سيارة كادلاك، وفيلاً جميلة، وشقة بالمصيف، وخادم أسمر اللون ذو القفطان الأبيض والحزام الأخضر.

وانتهت من كلية الهندسة على حلم أن يأتيها ابن الباشا، وبعد أن يئست من حضور ابن الباشا أصبحت تحلم بأولاد الباكوات الذين رفضتهم سابقاً، وبدأ السن يأخذ مجراه ويوشك أن يفوتها القطار ويئست من حضور أولاد الباكوات كذلك.

ماذا تفعل؟ وقد تعدت الثلاثين من عمرها وتردد عليها أولاد الأفنديات وهنا رضيت مرغمة، ولكنها لم تتنازل عن السيارة الكادلاك، والڤيلا الجميلة ومن أين يأتي ابن الأفندي بهذا كله؟

وتفرق عنها الخطاب، حتى أولاد الأفنديات، وفارقت الأربعين، وبدأ الذبول، وتساقطت أوراق الوردة ورقة ورقة، وبدأت تحلم حتى بأولاد الأفنديات ولكن بعد فوات الأوان، وتوفي والدها وذهبت الملايين، وبيعت السيارات، وانتقلت العائلة إلى شقة صغيرة، وأصبحت هي التي تطبخ وتغسل وتبدَّدت الأحلام، وانتهت الأيام، ولم تجد حتى ابن الأفندي في المنام!!!

[١٠] ـ **عالم كبير يعنس ابنته**: صحيح أنه عالم كبير ولكن هل العلم للعلم فحسب أم للعلم والعمل معاً؟

إنه لا شك للعلم والعمل معاً إذ لا فائدة للعلم بدون عمل كمن يجني ثمرة ويرميها دون أن ينتفع بها.

هذا عالم له بنت، ومنذ السادسة عشرة والخطاب يحضرون ويرجون إلا أنه كان يقدم هذه الأعذار لهم.

أولاً : إنها ما زالت صغيرة.

ثانياً: إنها لم تكمل دراستها.

ثالثاً: ليس العريس على المستوى المطلوب.

رابعاً: إننا منتظرون أولاد عمومتها.

خامساً: هذا لا يصلي في المسجد جماعة.

سادساً: راتبه لا يكفيها السائق والخادمة... و... و... الخ.

سابعاً: هذا متزوج إلى آخر هذه الأعذار.

والبنت تكبر وتكبر وتبكي لأمها وتبكي لصاحباتها وتتردد على الدكتور النفسي مراراً وتكراراً فينصحها بالزواج إلا أنها لا تجرؤ أن تقول لوالدها، وبلغت البنت الثلاثين فذهب بريقها، وانطفأت نضارتها فجاءها ابن العم المتزوج وتقدم للخطبة، وتمت الخطبة بدون علم

الزوجة، وتحدد ميعاد الزواج، فعلمت الزوجة بذلك فأخذت تهدد وتقول: إما إيقاف الزواج أو الطلاق، ورضخ الزوج للأمر الواقع خوفاً من الطلاق وتشتت الأولاد وبكت صاحبتنا، فبعد أن كانت قد تهيأت للدخول والفرح توقف كل شيء، وأخذت تقول هذا ما جناه علي أبـي وما جنيت على نفسي، ورحمك الله (يا سعيد بن المسيب) لقد كنت عالماً، وعاملاً بعلمك.

[١١] ـ **أخي الصغير عنسني**: نشأت الفتاة في بيت ميسور الحال ـ وحيدة أمها ـ يرعاها أبوها الكبير في السن الذي يمتلك المال والعقار، ذو الصيت والشهرة بين جيرانه وفي بلدته، الكل يقدره ويحترمه، فالفضل كل الفضل لله ثم له في تربية أجيال على يديه، فقد أنشأ مدارس أهلية للبنين والبنات، يساعد من يحتاج المساعدة من أبناء الفقراء المتقدمين إلى المدرسة لم ينس زوجته الأولى التي توفت وتزوج غيرها التي أنجبت له الفتاة، كان يرى زوجته الأولى في أولادها، فلقد تركت له ولدين أحسن تعليمهما بعد أن رباهما على الأخلاق الفاضلة.

فالولد الكبير بعد أن انتهى من المرحلة الجامعية اتجه إلى تجارة السيارات، فساعده عليها وأعانه على أن يشق طريقه في الحياة.

وأما الأصغر فبعد تعليمه الجامعي درّبه أبوه على الإدارة وعهد إليه بإدارة المدارس، واستراح في بيته يداعب فتاته ويرعى شأنها وشأن أمها. . . لم ينس أن يُحفِّظها ما تيسر من القرآن، ولم يَرْضَ لها من التعليم إلا المتوسط، فلقد نشأ في بيئة ترى أن التعليم الجامعي لا يتناسب مع المرأة، ومن فَرْط تعلقه بالفتاة خاف عليها الخروج وحدها، فآثر السلامة بالبقاء في البيت مع أمها.

واستدارت الفتاة وكبرت وتحسستها الأم، فإذا صغيرة الأمس عروسة اليوم، يستمد الأب شبابه في شيخوخته منها ومن كلماتها الطيبة ونظراتها الحانية.

ومرض الأب فصارت الفتاة له ممرضة، حتى لقد تعلمت فن التمريض من أجل حبها الكبير لأبيها، ويشتد المرض، وتهلع الأم من الخوف، فمن لهذه الفتاة بعد الله ثم أبيها، تذرف الدمع الدفين حتى لا تقع الابنة فريسة الحزن على أفكار أمها.

وسمعت الفتاة حشرجة حسبتها طلباً للماء أو ما يبلِّل به شفتيه، وأسرعت إليه بكوب العصير قبل أن يشير إليها ببنانه، ولم يشر الأب لا بالسبابة ولا بالإبهام بعد ذلك.

وتقدمت الفتاة من أبيها مخاطبة إياه، «تَفَضَّل يا أبت هذا العصير» ثم نادت ونادت ثم صرخت، الأب لا يتكلم. وتأتي الأم وتخرج الفتاة وتجد الأبَ في النزع الأخير، فتسرع إلى كتاب الله وتقرأ له من سورة يس فهي قلب القرآن، ثم تلقنه قائلة: «**لا إله إلا الله**» وتشاهد بصيص تَحرُّك في شفتيه، وتسمعه ينطق نطقاً بالشهادة، وينشرح قلب الأم فرسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَ آخر كَلاَمِه لا إلـه إلا الله دَخَل الجنَّة**»[1].

وتتماسك الأم وتغمض عينيه ثم تضم فكيه برباط وتوجهه للقبلة على شقه الأيمن، وبهذا يكون أصاب الفطرة كما عرَّفنا رسول الله ﷺ ثم قَبَّلَتْه وأرخت عليه ملابسه وغطاءً على كل جسده.

واتجهت إلى الله قائلة قول رسول الله ﷺ: «**اللهم أجِرْني في مُصِيبَتِي وأخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا**»[2] فلك الحمد يا رب في السراء والضراء.

وبكت وبكت البنت، واتجهت إلى الله كأنها تعتذر إليه لبكائها وما علمت أن البكاء رحمةٌ فرسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما هِيَ رحمةٌ جَعَلَها**

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه أحمد ومسلم عن أم سلمة.

الله في قُلُوبِ عِبَادِهِ، وإنَّمَا يَرْحَم الله مِنْ عِبَادِهِ الرحماء»[1].

يا رب... لا تؤاخذنا بما جادت به أعيننا من الدمع فرسولك الكريم قال لمَّا مات ولده إبراهيم **«إن العَيْن تَدْمَع، والقلْبَ يَحْزَن، ولا نَقُولُ إلا ما يُرْضِي رَبَّنا، وإنَّا بِفِرَاقِكَ يا إبراهيمُ لمحْزُونُون»**[2].

وأسرعت الأم إلى التليفون كي تخبر أبناءه...

ولم يطل الحزن كثيراً بعد احتداد الأم، فلقد كان عطف الإخوة فيه شيء من المواساة، فمن زيارة للكبير، إلى تردد عليهم من الصغير.

وقال الصغير لأمه الثانية كلّ شيء سيكون رهن طلبكم من غذاء وكساء ونقود، بل وَفَّر عليه مشقة السؤال وأصبح في مكانة الأب نفقة وتصرفاً.

وأشرف على نصيب أخته وأمها، واشترى نصيب أخيه، ومرت السنة تلو السنة والأم تنتظر قطار الخطاب الذي أسرع إليهم.

فهذه فتاة ذات مال وجمال ودين فكيف لا تُخْطب، وجاء إلى الأم، خاطبٌ فيه كل صفات الرجل المطلوب، علم وأدب ودين وقد رضيت الأم دينه، وطلبت منه الذهاب إلى أخيها الأكبر والأصغر.

ووافق الأكبر، وَلِمَ لا يوافق وفيه كل الصفات الإسلامية؟ كما أنه يتخيره لأخته وهي في منزلة ابنته، وأعلن له القبول طالباً الذهاب إلى الأخ الأصغر فهو راعيهم والمشرف عليهم.

وذهب الخاطب إلى الأخ الأصغر... وشرَدَ ذهنه فترة ثم قال له: لا أستطيع تزويج أختي الآن... وبرَّر ذلك أنها ما زالت صغيرة وعندما يرى أنها ستكون أهلاً للزواج فسيزوجها.

---

(١) رواه الطبراني عن عبد الله بن زيد.

(٢) صحيح البخاري ومسلم.

وتحسرت الأم على أن أمر ابنتها ليس في يدها إنما هو في يد أخيها، ولا تستطيع مخالفته فالميراث كله تحت تصرفه، ووكالة منها ومن ابنتها له بالتصرف في كل شيء، وخوفاً من عناده وافقته الأم على رأيه.

وجاء الأخ إلى الأم وبلهجة التحذير والتخويف قال لها: لن أزوج أختي قبل سنتين حتى لا نتركك وحدك، فهي أنيسك الآن وإلى أن ندبر سكناً لها ولعريسها فوق المبنى الذي تقيمون فيه حتى تكون إلى جوارك.

شهامة رجل، وحنان أم، جعلها تقبل للرجل مروءته وشهامته.

وفي خلال هذين العامين تقدم عدد من الخطاب لا بأس به، ولكن كيف تكسر الأم القاعدة؟

ومرت السنتان بتثاقلهما كأنهما قرنان من الزمان.

وتقدم مَنْ قَرُب من مؤخرة الطابور، وحولت الأم الخاطبَ إلى الأخ، فاستقبله بابتسامة مفتعلة قائلاً له: لا عيب فيك وأنت العريس الذي أتمناه لأختي، ولكنك من بلد غير البلد ولا أريد لها أن تبعد عن أمها أو تبعد عَنِّي، فكما تعلم أنه ليس لي أخت غيرها، وأمها ليست لها بنت أو ولد غيرها، فهل تستطيع أن تقيم معنا في بلدتنا، مع العلم أنك إذا وافقت على طلبي هذا فستمكث دون زواج زهاء ثلاث سنوات حتى أستطيع أن أبني لكما مسكناً، وستقوم أنت بتكلفة البناء، ويكفي أن أقدم سطح منزلنا دون ثمن من أجل حبي لأختي، وتلفت الخطيب يَمْنةً ويسرةً كي يرى طريقه إلى الباب وانصرف فاراً من هذه الشروط المجحفة، فكيف له الإقامة معهم وهو مقيم في بلده إقامة وعملاً وأهلاً... فإن انتقل إليهم فكيف يَنْقُل عمَله؟ الحقيقة تعجيز ممل.

ويحاول الأخ تبرير فعلته لأمه الثانية، وتلح عليه الأم أن البنت

قاربت سنها في التقدم ولا داعي أن تتركها هكذا، ثم إنك وعدتها بالبناء ولم تنفذ وعدك، فوعدها خيراً إن شاء الله وانصرف.

وجاء آخر الطابور من الخطاب وتقدم كما تقدم الآخرون، وأحيل إلى الأخ الأصغر فالكبير لا يستطيع أن يجبره رغم أنها أخته، وإنما هي محاولات تجاملية، وقبل أن يذهب الخطيب إليه دعت الأم الأخ الأصغر، وجاء الخال وجاء العم وجاء الأخ الأكبر كي يكونوا وسطاء في تزويج الفتاة.

ويرفض الأخ بكل قوة موجهاً كلامه للأم، كيف تُقرين زواجها ويأتي زوج المستقبل ويستولي على حقوقها في الميراث ونُفَتِّت ما جمعه أبونا بكده وعرقه.

إنني أفكر لها في مستقبل أحسن من ذلك، سأجلعها مديرة لمدرسة البنات، وسأختار لها مستقبلاً العريس الذي يقبل أن يعمل معنا ونأخذ عليه كل ما يضمن لنا أنه لن يطالب بحق زوجته، فهذا مطلبي وإذا رفضتموه فالمطلب الثاني حتى أحافظ على حقوقكم وميراث أبي أن تعطوني نصيبكم وأبني لكم من ثمنه مسكناً للعروس ولا يستطيع أحد أن يتلاعب بي.

ورفضت الأم باكية نواياه السيئة وتلفتت حولها كي توافق على الخطبة، فرأت الخطيب يفر من تلك الأسرة التي يطمع صغيرها في كبيرها ولا يطيع فيها الصغير الكبير، وفيها يؤكل مال اليتيم، لقد آثر اللحاق بالقطار عند تحركه من محطة تلك الأسرة وتحرك القطار حاملاً الخطاب.

وكبرت الفتاة وصارت تؤنس وحشة أمها... لا أصبحت مديرة ولا أصبحت تملك لزمام نفسها أمراً... ولكنها أصبحت للعنوسة أختاً وللبوار رفيقاً.

والفتاة لا تدري من أمرها شيئاً، لكن المشاهد والملموس إعطاؤها راتبها الشهري إلى أبيها.

وتتأزم الأمور وتتعقد مادياً في تلك الأسرة. . . .

فالابن الأكبر يلتحق بالتعليم الجامعي، وأين له بالنقود التي تعينه على الاستمرار في تعليمه، ويفكر في ترك التعليم كي يعمل ويساعد الأسرة طالما هو غيرُ قادر مادياً على تكملة تعليمه الجامعي.

ويتلقفه زملاؤه وإخوانه، لا عليك يا أخانا فسَكَنُك معنا ولن تتكلف فيه شيئاً، وغذاؤك وشرابك بيننا فنحن جميعاً إخوة، والإسلام حضَّنا على التعاون وأمرنا بالإخاء، لقد كان لنا في صحابة رسول الله ﷺ المهاجرين أسوة حسنة، استقبلهم الأنصار، وتقاسموا معهم حياتهم وبعد الوقوف والاطمئنان استطاعوا أن يبنوا صرحهم، وأما الجامعة فليس لها نفقات أو رسوم، وستستعين بالله ثم بكتب مكتبة الجامعة، إقناع وتردد، ورفض وقبول، ولكنه أمام رجاء إخوانه قَبِلِ العَطَاء.

واطمأن الأب على ولده الكبير فقد أفهمه الابن أنه يعمل بأجر زهيد كي يفي مصاريفه وهو في دراسته الجامعية.

وفي تلك الأثناء يتقدم الخطَّاب، فهذا مهندس، وذاك مدرس. . . وآخر طبيب ولمَ لا يكثرون وقد توفرت فيها شروط النكاح الإسلامية والأب يرفض كل من يتقدم لا لشيء سوى خوفه من ضياع ما تغدقه عليهم من أموال.

وتمر الأيام ويكبر الصغير، ويوفقه الله تعالى بالالتحاق بالسلك العسكري وإن كان الطريق طويلاً حتى يتمكن من مساعدة الأسرة، إلا أن الأب كان في حيرة من أمره، فإذا وافق على استمرار ولده في التعليم فهذا يكلفه، وحاول إقناع ابنه كي يجاري أخاه في تعليمه ويتدخل الابن

الأكبر فقد اتفق إخوانه على مساعدته ومساعدة أخيه، فَيُقْنع الأب أنه سيقتطع من دخله كي يواصل أخوه ما وُفِّق إليه.

وراود أحد زملاء الابن الأكبر ـ وكان يعمل في التدريس ـ أن يتقدم لخطبة الفتاة فسيساعده أخوها، وبهذا تكون أسرة واحدة، والنفقات واحدة ولا يشعر الأبناء بالحرج، ولا يتأففون من معيشتهم. . . ويعتذر الابن لأن الأمر والنهي بيد الوالد.

ويتجشم الخاطب مشاق الطريق فالبَوْن شاسع بين البلدين ويصل الخاطب في صحبة الابن، وعلى الرغم من معرفة الأب ـ مسبقاً ـ بالسيرة الذاتية للخطيب إلا أن ابنه أخذ يكيل المديح لأبيه، مبيناً مناقبه ومحاسنه، ثم يستأذن الابن قليلاً كي يترك المجال للخاطب ويتقدم الخاطب بعرضه، طالباً يد الفتاة، فيسكت الأب وتذهب به الظنون، إنه رجل صالح وهو ما أتمناه لابنتي ولكن إذا تزوجت منه فستقيم معه في بلدته، وفي تلك الحالة من أين لنا براتبها الذي أصبح عماد البيت؟ فلتتحمل الفتاة قليلاً، ولتصبر وتحتسب ذلك عند الله حتى ينتهي إخوتها من التعليم ويتولوا شؤون البيت، وعندها سأوافق على أول من يتقدم لها ويهديها إخوتها أحسن الأثاث ويوفرون لها أطيب الحياة.

هذا ما دار في ذهن والد الفتاة.

ويتثاقل لسانه نطقاً، ويعتصر قلبه ألماً، وبصوت ضعيف خفيض يعتذر بلباقة، لأن الظروف غير مناسبة، ويحاول الخاطب تذليل الظروف والموافقة على كل شروطه بالكلام مرة وبالرجاء أخرى، ولكن الأب يرفض وينصرف الخاطب.

وتمضي الأيام دون إطالة فالأب قد فارق الحياة، وشق الأولاد طريقهم وانتقل الحال من حال البؤس إلى حال الرخاء، وعادت الفتاة سيرتها الأولى في توفير نقودها وإراحة نفسها مما عانته طويلاً، طول عمرها الأسبق وكلما طُرق الباب نظرت من نظارته لعله الخاطب،

فيخيب أملها، إنها طرقة صديق أو قريب أو زائر.

وتحزن الأم على ضياع عمر ابنتها فيشتد حزنها وتصاب بالمرض ولا يمضي إلا القليل حتى تفارق الحياة، وتبقى شهيدة الأسرة دون زواج... فلقد كنت طائعة لربك في أهلك فأبشري بعريس الآخرة فليس عليك ملام وقولي قول المعري:

هـذا جنـاه أبـي علـي ... ومـا جنيـت علـى أحـد

[١٣] ـ **أخونا الكبير عنَّسنا وأفقرنا:** الأب ثري... تجارة ومزارع وعمارات، توفي بعد أن ترك ثروة كبيرة للابن وثلاث بنات، تولى الابن إدارة التجارة والمزارع والعمارات إلا أنه كان يسهر كل يوم حتى الفجر ولا يصحو من النوم إلا عصر اليوم الثاني، وانتهز العاملون غيابه اليومي وأتوا على التجارة، وفي تلك الأثناء حضر كثير من الخطاب للبنات الثلاثة، إلا أن الأخ كان يتعلل بأنه ابن الحسب والنسب والجاه والثراء ولا يقبل لأخواته إلا من في مستواهن، وكبرت البنات حتى وصل سنهن ما بين الثلاثين والأربعين، وباع الأخ عمارات والده عمارة عمارة والبنات متحسرات على فوات سن الزواج وعلى ضياع أموالهن الموروثة من والدهن وفي تلك الأثناء تردد بعض الخطاب على أخواته، إلا أن الأخ المتكبر ما زال في غطرسته بدوافع الحسب والنسب والعائلة و... و... ولو علم الخطاب ما وصل إليه صاحبنا لما ترددوا.

ويبيع آخر عمارة ويبيع آخر مزرعة وأصبح يتلقى أموالاً للمساعدة من الذين يعرفون، والذين لا يعرفون.

ارحموا عزيز قوم ذل.

ودخلت البنات الثلاثة أكبرهن دخلت إلى سن الخمسين وتم بيع المنزل الكبير، وانتقلوا إلى شقة صغيرة مؤجرة كان يدفع لهم الإيجار

أهل الخير ولما مرض الأخ وأصبح في حاجة إلى المال، اضطرت البنات الثلاث للعمل هنا وهناك، وتوفي الأخ وأصبحت البنات الثلاثة في سن ما بعد الخمسين يعشْن على خيرات أهل المروءة.

صرخة عانس[1]

في باب «إن مع العسر يسراً» في مجلة «الدعوة» السعودية، الذي يحرره فضيلة الشيخ مازن بن عبد الكريم الفريح، نُشرت رسالة فتاة من الثلاثين من عمرها دون أن تتزوج، على الرغم من كثرة الخاطبين وهي ترد السبب في ذلك إلى أبيها، وتحمله مسؤولية بقائها دون زواج حتى تلك السن.

وقد رأيت نشر رسالة الفتاة، ورد فضيلة الشيخ عليها لعل الآباء الآخرين يتداركون أنفسهم وبناتهم قبل أن يلاقين ما لاقته تلك الفتاة ويصيبهم ما أصاب ذلك الأب من ندم.

السؤال: أنا فتاة على مقربة من الثلاثين من عمري، ومشكلتي أنني إلى الآن لم أتزوج، والسبب في ذلك والدي ـ هداه الله ـ حيث كان لا يهتم بأي خاطب يأتيني أثناء دراستي، وذلك بعذر إكمال الدراسة، حيث كان يرد أي خطاب بدون السؤال عنه، وبدون إخباري بذلك. وكنت أظن أنه لا يأتيني خطاب ولكن علمت فيما بعد من أشخاص خارج العائلة أنهم (الخطاب) أتوني، ولكن والدي كان يردهم واحداً تلو الآخر.

وبعد التخرج أخذ يعرض علي بعض الخطاب، أما البعض الآخر فلا أدري لماذا يردهم، وأنا أعلم أن منهم من يرضى دينه وخلقه، والمعلومات تأتيني من أناس آخرين وطبعاً والدي، الشيء المهم عنده هو المركز الاجتماعي لعائلة الخاطب، لكن الخاطب ليس مهماً عنده.

---

(١) النور ـ العدد (١٤٠) سبتمبر (١٩٩٦) للأستاذ محمد رشيد العويد.

المهم أنه لم يُقدر لي الزواج من أي خاطب لعدة أسباب منها رفضي للبعض لأسباب شرعية ومنها رفض والدي ولا أدري لماذا؟

وبعد أن مرت السنون وعرف والدي أن تصرفه هذا خاطىء، عدل عن هذا التصرف، ولكن ليس معي بل مع أختي التي تصغرني بحوالي خمس سنوات، وطبعاً تم لها عقد النكاح، وأنا على هذه الحالة، ولا اعتراض على قدر الله فأنا مؤمنة بقضاء الله وقدره، وأن هذا هو المكتوب. وطبعاً أنا أتمنى الخير لأختى وأتمنى ألا تتكرر مأساتي معها.

أرجو من فضيلتكم إخباري كيف أرد على مَن يسألني لماذا لم أتزوج وأختي الصغرى تزوجت؟

الجواب: لقد تعددت النوازع الآثمة والشهوات المحرمة التي تدفع بعض الآباء للتعنت في تزويج بناتهم ومن ولاهم الله أمرهن... فهذا أب جشع يرد الخاطب تلو الخاطب لأنه ليس من أصحاب الأموال أو موسري الحال... وأب ثان يرده لأن زواج ابنته يعني أنه سيفقد راتبها الذي يستولي عليه في آخر كل شهر... وثالث يطلب مهراً خيالياً ويضع شروطاً تعجيزية لا يستطيع تحقيقها إلا القليلون... ورابع يريد الخاطب من قبيلته أو أبناء قرابته ولو كان من أضعف الناس ديناً وأسوئهم خلقاً....

وهكذا يعبث هؤلاء بمصير بناتهم ويهدرون حقوقهن في حياة زوجية سعيدة.

ألا ما أشنع هذا الظلم وأقبحه يوم يجني الأب على من وثقوا به وسلموا أمرهم إليه فيخون أمانتهم ويحطم حياتهم بشحه وجشعه... ألا ما أعظم هذا الظلم وأخطره يوم أكرهت بعض الفتيات على العنوسة فراحت من ضعف إيمانها تلبي شهوات نفسها الأمارة بالسوء بطريق

الحرام ومعصية رب الأنام... وكم من الأعراض هتكت والأسر الشريفة دُنست يوم غفل بعض الآباء أو تجاهلوا خطر وعاقبة تعنتهم في زواج بناتهم ولقد صدق رسول الله ﷺ حين حذر كل ذي لب من خطر التعنت في تزويج الشباب والفتيات فقال ﷺ: «**إذا جاءكُم مَن ترضَون دينَه وخلقَه فأنكحوه، إلا تَفلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عَريض**». قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: «**إذا جَاءكُم مَن ترضَون دينَه وخلقَه فأنكحوه**»[1] كررها ثلاث مرات صلوات ربي وسلامه عليه.

أيتها الأخت... لا أجد عزاء لك ولغيرك ممن هن على شاكلتك إلا أن أقول، اصبرن واحتسبن واتقين الله.

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، ورواه أبو داود في المراسيل.

عنوسة

المثقفات ولوم الضحايا![1]

عنوسة المثقفات قضية كانت وما زالت مثاراً للجدل من قبَل شرائح عدة من المجتمع كل يدلي فيها بدلوه، المختص وغير المختص، من تمسه القضية بشكل مباشر، أو غير مباشر، ومن لا تمت القضية له بصلة كل يقتحم فيها بما يدري وما لا يدري، وأظنها قد أشبعت طرحاً ودراسة، لكن الملاحظ أن ذلك الطرح لم يكن متوازناً وذلك لأمور عدة منها:

ـ اختفاء صوت المرأة ـ صاحبة الشأن ـ في ذلك، وتعالي أصوات من لا تعنيهم القضية بشكل مباشر.

ـ الروح الانهزامية في معالجة الموضوع فإن الحل في نظر أولئك (اختياري بين أمرين أحلاهما مر) إما الزواج المبكر والتخلي عن مواصلة التحصيل العلمي وقتل الطموح قبل ولادته، أو مواصلة التحصيل العلمي مع الحرمان من الحياة الزوجية الهانئة التي تنعم بها القرينات.

ـ النظرة إلى المرأة ذات الشأن بعين اللوم فهذه المثقفة ذات الشهادات كما يقولون ـ يجب أن يكون مصيرها عنوسة تعاب بها لأنها لم تقبل بأول طارق لبابها، وكان الجدير بهؤلاء تفهم طموح هذه الفتاة والنظر إليها بعين الاحترام والتقدير.

---

(١) مجلة الأسرة ـ جمادى الآخرة (١٤١٧هـ) ص (٢٨)، نها العتيبي ـ الرياض.

أضف إلى ذلك أن المعالجين للقضية يُرجعون أسباب تلك العنوسة للمثقفة نفسها فحسب، ولو أنصفوا لقالوا، إن الأسباب ترجع إلى ثلاث عوامل:

- المجتمع.
- نظرة الرجل.
- المثقفة نفسها.

أما المجتمع فعاداته وتقاليده كرهت للرجل الزواج من فتاة الخامسة والعشرين فما فوق فتلك كبيرة لا يرغبها بينما في مجتمعات أخرى تصل الفتاة سن الثلاثين وتُخطب وتتزوج دونما حرج.

ومن ناحية أخرى فالمجتمع لم يتفهم بعد دور المرأة المثقفة ومدى قوة تأثيرها فيه، ولذلك لم يعطها مكانتها اللائقة، ولم يحاول الاقتراب منها وتفهم مشكلاتها.

وفيما يتعلق بنظرة الرجل فإن بعض الرجال ـ وعسى أن أكون مخطئة ـ لا يحبون الزواج من نساء تماثلهم ثقافة بل يحبون أن تكون زوجاتهم دون مستواهم الثقافي بمراحل.

أما العامل الثالث ـ ولعله الخطير ـ وهو أن هذه الفتاة يأخذها الطموح والعطش الثقافي فتنقاد له دون شعور حتى يسيطر على تفكيرها ويحجب الرؤية عنها فلا تعد تميز بين أولويات الحياة، وقد تشعر بذلك لكنها لا ترضى لهذا التحصيل الثقافي من منافس سواء من زواج أو غيره.

ومن الفتيات من يتأخر زواجها لأنه لا تجد الرجل المناسب لها طموحاً وثقافة فيطول انتظارها ويجري قطار العمر وتبقى عانساً.

نعم نريد حلاً للمشكلة، لكن نريده من المختصين، حلاً واعياً متفهماً يقدر لابنة الوطن ذات الطموح والقدرات الكبيرة قدرها.

عنوسة الرجال

عنوسة الرجال

طبيب عانس:

هل هناك رجل عانس؟ نعم إن هناك كثيراً من الرجال يصلون إلى سن الأربعين والخمسين والستين ولا يتزوجون لأسباب كثيرة ومختلفة.

فهذا دكتور حصل على بكالوريوس الطب في الجراحة وبعد فترة سافر إلى لندن للحصول على الماجستير ثم رجع وفتح عيادة ونجح نجاحاً باهراً في عيادته وذاع صيته وأحضر لعيادته أحدث المعدات الطبية، ثم سافر بعد ذلك لعدة سنوات للحصول على الدكتوراه، وبعد رجوعه كان همه هو إرجاع عملائه مرة ثانية بعد أن فقدهم لغيابه عنهم أثناء دراسته للدكتوراه، وبعد أن استقر في عيادته وأصبح مرجعاً في اختصاصه في بلده بدأ يفكر في الزواج ولكن بعد تكاثر الشعر الأبيض في رأسه، وبعد أن كانت الأسر العريقة ترضاه لشبابه وشهرته في عمله إلا أنه الآن بعد التجاعيد الزاحفة في وجهه، من عناء العمل وكبر السن، وبعد تكاثر الشعر الأبيض في رأسه وبعد... وبعد... وبعد... لا ترضى به إلا عانس كبيرة السن، أو مطلقة، أو صغيرة السن طمعاً في ماله ومركزه فقط، وهكذا فاته قطار الزواج فما عليه إلا أن يهمل أحلامه في الزواج أو يرضى بالأمر الواقع.

عانس رغم أنفه:

مدرس توفي والده وترك له أماً وثلاث بنات أخوات وثلاثة إخوة كان والده موظفاً بسيطاً باع كل ما يملكه في سبيل حصوله على ليسانس كلية الآداب، وبدأ الابن البار في العمل الجاد، وقام بالصرف على تعليم إخوته وأخواته وكبرت البنات وتقدم لهن من ارتضاه لهن من

أزواج ولا بد من تجهيزهن، والأولاد لا بد من إكمال تعليمهم، والأم المريضة التي كانت تعاني من الفشل الكلوي، في حاجة إلى دواء فمن أين يحصل صاحبنا على تلك المصاريف مع راتبه البسيط؟.

فبعد أن تخرج توافد عليه الطلبة لإعطائهم دروساً خصوصية، بعد ذلك يذهب إلى إحدى الصحف ليلاً لأنه كان مسؤولاً عن إحدى الزوايا بها، وتزوجت البنات، وتعلم الأولاد، وتوفت والدته متأثرة بالفشل الكلوي، وفجأة وجد صاحبنا نفسه وحيداً قد حطمته الأيام، وبعد أن كان شعره شديد السواد، أصبح كثير البياض وذلك من هول العمل الشاق:

وهذا الذي يقال عنه «عانس رغم أنفه».

وهكذا مات عانساً:

كان بطلاً في المصارعة الحرة تتمناه كل بنت في حيه حصل على شهادة متوسطة ولم يكمل تعليمه لانشغاله برياضته المفضلة، وخطب بنت الجيران إلا أنه اتهم في قضيةٍ سُجن على أثرها حوالي عشر سنين، وخرج من السجن وما زال محتفظاً بحيويته وبعد أن كان يمارس المصارعة الحرة هاوياً أصبح يمارسها محترفاً وأصبحت هي مورده بعد أن فُصل من العمل الذي كان يعمله قبل سجنه.

وبعد أن تزوجت خطيبته السابقة أثناء فترة سجنه، بدأ يبحث عن عروسه تتناسب مع مركزه الرياضي، وفي أثناء ذلك أصيب بالشلل في إحدى مبارياته، وبدأ يقاوم المرض، وصرف عليه كا ما ادخره من إيراد مبارياته.

ومرت الأيام ونسي موضوع الزواج لأنه كان كل همه علاج نفسه من الشلل الذي أصيب به، وبعد أن كان بنات حيه يتمنونه زوجاً لهن أصبحن ينظرن إليه على أنه خريج سجون، ومصاب بالشلل، فلا مال ولا شهادة، بل شلل ومرارة وهكذا توفي عانساً.

ديون أبي سبب عنوستي:

تاجر كبير ذو شهرة واسعة كان يستورد بضاعة من الخارج، وكان الجميع يعطيه البضاعة مؤجلة الدفع يأتمنه الناس على أموالهم، إلا أن تجارته قد خسرت خسارة كبيرة بسبب استيراده بضاعة مؤجلة الدفع مع نزول الأسعار، وانتهاء صلاحيتها.

وكان لذلك التاجر ولد في الثانوية العامة ترك دراسته بعد وفاة أبيه متأثراً بتلك الخسارة الكبيرة ليتولى أعمال أبيه بعد وفاته، خبرته بسيطة، مع ديون كثيرة تركها له والده وكانت له أم وبعض الإخوة والأخوات، وظل هذا الولد البار يعمل بكد وكدح، ومن أرباحه يقوم بسداد بعض ديون والده، مع الصرف على هذه الأسرة البائسة وكانت سمعة والده في كثرة ديونه تنفِّر من يتقدم لخطبة ابنتهم، وظل يكافح ويكافح إلى أن سدد معظم الديون، وبعد أن توفت والدته ظل يكافح حتى قام بتزويج أخواته.

وفجأة وجد نفسه قد بلغ الخمسين من عمره بعد أن فقد شبابه وحيويته، فآثر ـ بعد ذلك ـ الاكتفاء والرضا بحاله، وحمد الله على حسن ختامه.

لا يعجبه العجب:

كانت تتمناه كل فتاة، شهادة جامعية، أسرة راقية، شباب وحيوية، وبدأت أسرته تبحث له عن عروس، وكانت له شروط قاسية في مواصفاتها، صعبة التحقيق في وجودها.

كأن يكون طولها كذا، ووزنها كذا، ولون شعرها كذا، وعيونها كذا، وعائلتها كذا، وثقافتها كذا، أي أنه قد رسم في مخيلته رسماً معيناً لعروسه، ولا يتنازل مطلقاً عن أي شرط من شروطه التي رسمها في ذهنه، وللأسف لم يكن من ضمن شروطه الحجاب أو الالتزام به بل تغافل عن كل ما هو مهم في اختيار العروس وبدأت والدته وأخواته

يبحثن له عن عروسه الخيالية، وحينما يعرضون عليه إحداهن، كان يرفض لأسباب واهية وحجج باطلة، في جملتها أنها ليست حسب مواصفاته.

وطالت السنوات ولم يجد ضالته المنشودة وحينما كبر سنه بدأ يتنازل عن بعض الشروط ولكن بعد فوات الأوان، بعدما كبر سنه وبدأ شعره الأبيض يغزو رأسه، وحينما رجع إلى اللاتي كن يتمنونه، وجدهن جميعاً قد تزوجن، فهذه أصبح عندها ثلاثة أولاد، والأخرى أصبح عندها خمسة أولاد وبنات، وهكذا، وكان كلما تنازل عن شرط وتمسك وأصر بالباقي، كانت سنه تسير بخطى سريعة، وأصبح الجميع لا يوافقن عليه، لأنه قد أصبح كبير السن.

وأخيراً تنازل عن كافة شروطه وأصبح يتمنى أنثى فقط، ولكن أي أنثى لا تريد رجلاً عفى عليه الزمن، وأنهكته السنون والأيام، بل تريد شاباً ذا حيوية ونضارة.

وهناك عشرات من القصص التي توضح بأن العنوسة ليست خاصة بالنساء فقط بل إنها كذلك مشكلة من مشاكل الرجال.

وفي ذلك التحقيق الصحفي التي قامت به مجلة الأسرة في عددها (٤٥) من ذي القعدة ١٤١٥هـ إبريل ١٩٩٥م ما يوضح ذلك.

رجـــال
في قافلة العوانس[1]

ربما كان هناك شبه إجماع على أن السبب الأساسي في «عنوسة» النساء هم الآباء، فهل للآباء أيضاً أي دخل في «عنوسة» أبنائهم؟!

الإجابة ببساطة: لا إذ من المعروف أن مواقف كثير من «العزاب» إزاء الزواج تشكلها مبررات ذاتية وأخرى اجتماعية بدرجة أقل.

جولة قصيرة لـ «الأسرة»:

بين مجموعة من الرجال «العوانس» كشفت أن درجة الحماس للزواج بعد سن الأربعين تقل كثيراً، وأن قافلة «العوانس» تتسع بعد سن الخمسين عندما تتكون للعزاب قناعة أو «وهم» بأن الزواج في هذه السن المتأخرة «جناية» كبيرة على الأسرة، لأن الزوج تضعف قدراته الجسمية، ويصبح غير قادر على تحمل الأعباء الأسرية فيما يتعلق بالمعيشة وتربية الأطفال وتحقيق طموحاتهم وتطلعاتهم.

كلماتهم هذه لا تقنع الأهل والأصدقاء بالطبع، ولا تتفق مع التوجيهات النبوية الكريمة في الحث على الزواج، فالرسول الكريم ﷺ أمر المسلمين بالزواج فقال: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**»[2].

«والأسرة» تدعو القارىء للتعرف على أسباب إحجام بعض

---

(١) مجلة الأسرة ـ ذو القعدة (١٤١٥)، أبريل (١٩٩٥م) ص (٤٦)، تحقيق: حاتم أحمد أحمد التميمي.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن.

الرجال عن الزواج، وعلى العوائق التي حالت دون اختيار شريكة ما تبقى من العمر.

[١] ـ بعد أن خرج آخر مريض من عيادة الطبيب **فخري سعد رضوان** الخاصة، استأذنته «الأسرة» في الدخول واقتطاع جزء من وقته للحديث إليها عن سبب تأخر زواجه حتى الآن خاصة وأنه يملك مقومات بناء الأسرة.

اعتدل الدكتور فخري في جلسته وقال بهدوء شديد ـ وهو يسترجع تفاصيل ذكريات مبكرة: أخذتني الدراسة عن كل شيء وغرقت في الكتب والمراجع تماماً إلى أن حصلت على درجة «الماجستير» وبعدها انشغلت بعيادتي التي اجتذبت الكثير من الزبائن، وبالتالي كرست وقتي وجهدي لإعدادها وتجهيزها بأحدث الأدوات الطبية، وتزويدها كذلك بأفخر الأثاث، احتوتني هذه المهمات، وأفقْت منها لأجد أن عقوداً أربعة من العمر قد ولت وانقضت، وغزا الشعر الأبيض رأسي كله، وعند ذلك بدأت فكرة الزواج تلح عليَّ؛ وكان هذا التفكير بداية لمرحلة صعبة وعسيرة لاختيار شريكة ما تبقى من العمر، وظللت أبحث وأبحث عن رفيقة الدرب، ولكنني لم أوفق حتى الآن وضاع مني وقت كبير في عملية البحث هذه، ولما خشيت أن يهجرني الزبائن رجعت إلى عيادتي وكتبي، وفي العمل قد يجد الشخص الكثير من التعويض والسلوى، ولكن عندما أجدها فسأبادر فوراً إلى إنهاء حالة العنوسة هذه، وأتمنى أن لا يطول انتظاري لأنني لو بقيت على ذلك لسنوات قليلة قادمة بعد الآن فإن الزواج ـ في اعتقادي ـ سيكون مغامرة صعبة جداً، أما الآن فهناك بقية من شباب.

[٢] ـ **رمضان الطويل** المحاسب المشهور يصرح لمجلة الأسرة فيقول: اشتغلت برعاية أختي وتعليمها وتزويجها حتى أدركني الشيب!!.

يبدو أن مهنة المحاسبة تستحوذ على وقت صاحبها تماماً، وهو في تعامله مع الأرقام ينسى نفسه، ويغرق حتى أذنيه في العمليات الحسابية والمراجعات والموازنات، وحينما يصحو لنفسه يجد أن سنوات العمر تركض ركضا ـ

هكذا يقول رمضان محمد الطويل المحاسب في أحد البنوك القاهرية والذي يبلغ الآن ٤٠ عاماً من العمر، ويتابع الأستاذ رمضان وهو يبرر لنفسه حالة «العنوسة» لم أتزوج حتى الآن نتيجة لظروف معينة وأيضاً خاصة مررت بها وما كان عزوفي عن الزواج راجعاً إلى قناعات محددة، ولا إلى قرار اتخذته مسبقاً، وإنما تتمحور القصة في أن فكرة الزواج المبكر كانت مرفوضة لدي، وذلك لأن ظروفي المادية لم تكن تسمح إطلاقاً بمجرد التفكير بالزواج إذ توفي والدي في وقت مبكر وترك لي أختين وجدت نفسي أتحمل مسؤوليتهما كاملة، فقمت بتعليمهما ورعايتهما إلى أن تزوجتا، وبعد ذلك انتبهت إلى نفسي وبدأت في تجهيز شقة خاصة بي، واستغرق هذا سنوات طويلة، وعندما توافرت لدي «المستلزمات» الضرورية لبناء حياة زوجية معقولة وجدت نفسي على مشارف الأربعين وبالطبع فإن العثور على فتاة تقبل أن تشاركك حياتك في هذه السن يبدو أمراً صعباً جداً إن لم يكن مستحيلاً، وإذا فشلت محاولة العثور على «الشريكة» التي ترضى بزواج «الكهل» فإن «العنوسة» بقية العمر هي الحل ولن أنزعج لذلك كثيراً لأن عملي في «البنك» يأخذ كل وقتي.

عالم «العزاب» عالم عجيب ملفوف بالأسرار، ومشحون بتفاعلات غريبة، ففي «دنيا العزوبية» آمال وإحباطات، سعادة وتعاسة، قلق ورضا، إقبال وتراجع مجموعة من التناقضات لا يكاد يخلو منها «العازب».

[٣] ـ وفي إحدى زوايا عالم الوحدة يقبع المهندس المعماري الكبير عبد المنعم زايد من «محافظة الشرقية» فبرغم أنه طوى ٤٦

سنة من عمره إلا أنه راض بحياته هكذا كما أكد كما سألته «الأسرة» عن السبب في استعذاب حياة بهذا الشكل فكان هذا السؤال بمثابة المفتاح الذي فتح باب الأسرار، فراح يسترجع تفاصيل ذكرياته وانطلق يحكي ويحكي، قال المهندس زايد: لست نادماً على «العنوسة» كما تسمونها، ولقد اتخذت قراري عندما كان عمري ٢٥ سنة، لا تعتقدوا بأنني وصلت إلى هذا القرار في لحظة تسرع وإنما جاء بعد ترو وتفكير.

وإليكم الأسباب: كنت وحيد والدي طفولتي وشبابي كانا وسط أسرة يسودها التنافر والعراك الدائم، وعيت على الدنيا بين أب وأم لا تمر عليهما ساعة دون أن تنشأ بينهما معركة، لم يصمد والدي لهذه الحياة الطويلة فوقع أسيراً لمرض عضال توفي على أثره. لم يتجاوز عمري آنذاك عشر سنوات، وترسب في داخلي منذ ذلك الوقت شعور قوي بالكراهية للزواج، وترسخت في ذهني فكرة الزواج القائم على الجدل والخلاف لأتفه الأسباب.

المهم أكملت دراستي والتحقت بعمل أعطيته كل وقتي وجهدي، ولحسن الحظ كانت النتائج دائماً موفقة وتثلج الصدر سواء أكانت مادية أو معنوية وبعد هذه الحياة الناجحة، وبعد إلحاح شديد من الأهل والأصدقاء، فكرت في الزواج، لم تتبلور هذه الفكرة ولم تنضج لأنني كنت أشعر دائماً بأن هناك أسواراً عالية من الخوف تقف حائلاً بيني وبين الزواج. . . وكنت أسأل نفسي دائماً: هل تقبل فتاة في العشرين أو حتى في الثلاثين الزواج من رجل في مثل سني؟ خوف كبير يسكن في داخلي، ولهذا فإن هذه الخطوة تتأجل يوماً بعد يوم أظن أن هذه الأسباب مقنعة، أليس كذلك؟.

[٤] ـ ابتدرنا **إبراهيم علي الجابر** ـ المقيم في الرياض ـ قائلاً إن شكلي هو السبب في عزوفي عن الزواج، وفي شكلي تكمن معاناتي ومحنتي، كان زملائي في مقاعد الدراسة يصفونني بالقبح والدمامة،

ويسخرون مني باستمرار فترسبت هذه السخرية في أعماقي، ولذلك ما كنت أتصور أن تقبلني امرأة زوجاً لها أبقيها... لا تلغيها، وبمجرد التفكير في هذه الصورة الخالية ينتابني إحساس بالخجل، قد تسألوني لماذا؟ لأنني أتخيل أن الأصابع تشير إليَّ في سخرية: انظروا إلى هذا الدميم! كيف تزوجته هذه المرأة؟

صدقوني لا أسخر من نفسي وها هو شكلي أمامكم، وربما كان مقبولاً، ولكن لحظة التفكير في خطبة أي امرأة تجتاحني قشعريرة، وأتصور أن أي فتاة ستشيح بوجهها عني حين تراني وتقول لي «أنت أبشع مما توقعت» والغريب أنني مقتنع بأن هذه مبالغات ووساوس من الشيطان، وأحياناً كثيرة أستعيذ بالله من همز الشيطان ونفثه وأتوهم نفسي مخاطباً جميع الفتيات متسائلاً: ألم تقرأن قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧ ـ ٨].

وقلت لنفسي رغم اعتقادي بأني لست قبيحاً إلى الحد الذي يمنعني من الزواج: لم كل هذه المعاناة؟ لماذا لا أدع همومي وأزهد في الزواج؟ وبالفعل أزحت عبء التفكير فيه عن كاهلي، وأنا الآن مرتاح البال، ومنكب على عملي بعيداً عن سخرية الآخرين، وأدمنت القراءة والاطلاع، ورب ضارة نافعة... وهذا هو سبب «عنوستي»!! وأسأل الله أن أجد شريكة العمر الراضية النفس مثل تلك التي قالت لزوجها: «أنا وأنت من أهل الجنة، فسألها لماذا؟ فقال: ساقني الله إليك فشكرت، وساقك إلي فصبرت».

[٥] ـ **إبراهيم ش. ش**: المدرس في أحد أحياء الرياض يقول: أنا عاشق للقراءة والكتابة وكانت هي كذلك، أكتب القصة والشعر والخاطرة وهي أيضاً... شاء الله أن تكون كتاباتنا في وسيلة واحدة ثم في أكثر من وسيلة، وكثيراً ما تتجاوز القصص والأشعار على ذات الصفحات، استهواني إنتاجها، وأدمنت قراءة ما تكتب، وصار قلبي يدق كلما رأيت إنتاجاً منشوراً لها في أي صحيفة أو مجلة، وفسرت

ذلك في البداية بحب الأدب والإنتاج الأدبـي ولكنه كان في الواقع حباً لصاحب الأدب والإنتاج الأدبـي كانت لدي مواصفات معينة لاختيار شريكة العمر، ومنها التوافق في التفكير والميول والهواية والتطلع. . . فوجدتها جميعها في تلك الكاتبة التي لم أرها ولم أسمع صوتها، ولا أدري عنها شيئاً سوى أنها طالبة في إحدى الجامعات لأنها كانت توقع اسمها مقروناً بمكان دراستها، وبدأت رحلة البحث عنها إلى أن تعرفت عليها وعرضت عليها الزواج عبر صديقة لها، فوافقت فكانت سعادتي عظيمة. . . وتقدمت رسمياً لوالدها لطلب يدها فرفض رفضاً قاطعاً دون ذكر أسباب، وبعد إلحاح مني قال أريدها أن تكمل تعليمها، واستمرت صلتي بها عبر ما تكتب بعد أن أصبت بحالة إحباط كاملة تقترب من الشلل، مرت على هذه الواقعة عشرون عاماً كاملة، وما زلت أعيشها كما لو كانت اليوم، ولم أفكر في غير «فتاتي» وما أظن أنني قادر على نسيانها، وأخشى إن أنا تزوجت بغيرها أن أفضح نفسي وأتسبب في تعاسة لمن أختارها، ولهذا آثرت «العنوسة» وقضاء بقية العمر مع ذكرياتي ومع كتاباتها، بل إن هذه الحالة أو المعاناة تمدني بطاقة هائلة للكتابة والإنتاج الأدبـي، وأعتبر هذا تعويضاً رائعاً عما فاتني من الزواج أظنه سبباً وجيهاً للعنوسة ولكني لا أخالكم تتفقون معي!.

[٦]ـ يفسر الدكتور **أحمد النكلاوي** أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة الدوافع الاجتماعية التي تقف وراء عزوف بعض الأشخاص عن الزواج بعد سن الأربعين فيقول: إن ذلك يرجع لأسباب خاصة أو ذاتية، ومن ذلك أن دوامة الحياة تحتوي مثل هذا الشخص، وتحتل مشاغلها المحل الأول من عمره، وبالتالي يفاجأ بعد مرحلة معينة من العمر أنه لم يتزوج، وأن القطار قد «فاته» وعند ذلك يصعب عليه الحصول على قطار آخر بسهولة، أو على «محطة» يركب منها. . . كما أن كبر السن بطبيعة الحال يجعله متخوفاً من أن تطمع الزوجة المنتظرة في أمواله أو مركزه، ولكن مثل هذه الظاهرة لا نجدها إلا في المدن.

ويضيف الدكتور النكلاوي قائلاً: إن هناك أسباباً أخرى: ومنها أن الشخص إذا كان مسؤولاً عن أسرة، وتقع على عاتقه مسؤوليات اجتماعية فقد ينسى نفسه في خضم هذه المطالب التي لا بد له من الوفاء بها أولاً، وربما يكون الشخص من الناحية الثانية غير مستعد مادياً للاقتران بإحدى الفتيات في المرحلة المناسبة.

ويشير الدكتور النكلاوي في ختام حديثه إلى أن بعض العازفين عن الزواج قد يكون لديهم استعداد نفسي للهروب من المسؤولية بحكم تكوينهم أو تربيتهم التي تجعلهم غير راغبين في الدخول في ارتباطات رسمية تفرض عليهم أي نوع من الالتزامات.

الاقتداء بالرسول الكريم:

وبعد أن استمعنا إلى رأي علم الاجتماع كان لا بد لنا من التعرف على إجابات علماء الدين في هذه القضية، فكان لنا لقاء مع فضيلة الدكتور **أبو سريع عبد الهادي** أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة والذي بدأ حديثه فقال: إن الزواج من سنن الفطرة، ولذا فإن الأصل فيه الاستحباب إذا كان الرجل على حالة معتدلة، وكان قادراً على طلبات الزواج وأعبائه، ولم يغلب على ظنه الوقوع في الخطيئة، وعن هذا يقول الرسول ﷺ: «**يا معشَر الشباب من استطاع منكمُ الباءَةَ فليتزوجْ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطعْ فعليه بالصوم فإنَّه له وجاء**»[1] ورداً على قول أحد الثلاثة الذين افتخر كل منهم بعمله والذي قال وأنا لا أتزوج النساء قال الرسول ﷺ: «**أنا أصلي وأنامُ، وأصوم وأفطرُ، وأتزوجُ النساءَ، فمن رغبَ عن سنَّتي فليس مني**»[2] وقال قولته هذه بعد أن سبقها قسمه «**والله إني لأخشاكم لله وأتقاكُم له**»... وإذا كان الرجل يغلب على ظنه الوقوع في الخطأ، وكان قادراً على تحمل

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

أعباء الزواج وجب في حقه الزواج، أي إن الحكم في هذه الحالة هو الوجوب وليس الاستحباب، ومن يتركه يأثم.

ويضيف الشيخ أبو سريع قائلاً: ليس للزواج سن معينة كما يدعي بعضهم، ووهم قول الذين يقولون إن الزواج بعد سن الأربعين غير مطلوب وفيه جناية على الأسرة والأطفال، فهذا محض ادعاء وتصور واهم، فالرسول ﷺ تزوج معظم زوجاته بعد سن الخمسين، بل تزوج السيدة عائشة رضي الله عنها - وهي صغيرة بكر - وهو يقترب من الخامسة والخمسين، ثم تزوج بعدها بمعظم زوجاته... فهل الذين يمتنعون عن الزواج بعد الأربعين يعرفون أفضل من رسولنا الكريم ﷺ؟ حاشا وكلا... وهل هم أيضاً أحرص على دينهم وأخلاقهم وأنفسهم من الرسول ﷺ وصحابته؟ كلا....

ويطرح الدكتور أبو سريع سؤالاً على الذين يعزفون عن الزواج: ليخبرني هؤلاء ماذا يفعلون في كهولتهم؟

وماذا لهم بعد الأربعين أو الخمسين؟ وكيف يعيشون دون رفيق أو جليس يؤنس وحدتهم؟ ويجيب: لا شك أن نظرتهم قاصرة، وإلا لعلموا أن خير قدوة لهم هو الرسول الكريم ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم الذين تزوجوا بعد سن الخمسين وليس الأربعين فقط... فهل يمكن لهؤلاء أن يقتدوا بالرسول ﷺ ويقْدموا على الزواج إحياء للسنة؟ كما أن لكل من الزوجين مودة ورحمة مع صاحبته تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

على لسان أختين[1]

التعليم ليس عيباً يمنع المرأة من الزواج، نرجو أن تقدرونا كما تقدر المجتمعات نساءها، نحن أختان نذرنا أعمارنا للدراسة وحب العلم حتى أخذت كل منا نصيباً وافراً في مجالها.

ولعل سنوات الانشغال بالعلم هي من أكبر المشاغل التي تلهي الواحدة منا عن التفكير بمستقبلها، ونعتقد في البداية أننا في زمن يحترم العلم وأهله، ولن نفكر لحظة أن مواصلة التعليم والتفرغ له قد يكون سبباً في تأخر زواج أي منا، فالعكس ما اعتقدناه، والذي نعرفه أن العلم يرفع قدر المرء، مع معرفتنا أن تجاوز أي امرأة لسن معين ليس سبباً في أن يكون عائقاً لها عن الزواج، إذ أن كثيراً من الرجال أيضاً يتأخر زواجهم... ربما لأسباب كهذه، أو لغير ذلك.

ونحن وقد أحرزنا النجاح في عملنا بعد دراستنا ربما كان الاستقرار النفسي هو هاجسنا الآن.

ولسنا ندعي أن الفتاة تتزوج في الوقت الذي تريده مما يجعلها تؤخر زواجها، وإن كان ذلك يحدث في مجتمعات أخرى، ولكن وقد تجاوزت كل منا الخامسة والثلاثين فإن الاستقرار في كنف رجل صالح هو غاية ما تحلم به أي واحدة منا، مع جزمنا بأن في المسلمين من يقدر المرأة المسلمة المجتهدة في العلم والعمل، والحمد لله فقد كان الالتزام

---

(١) جريدة «المسلمون» العدد (٥٩٤)، الجمعة (٥) صفر سنة (١٤١٧هـ) الموافق (٢١) من يونيه سنة (١٩٩٦م).

والصلاح شعاراً لنا منذ نعومة أظافرنا. . . وطيلة سني دراستنا وعملنا، ونعتقد أن من بين صالحي عباد الله من يقدر هذا الجهاد، ولم نعتبر أنفسنا يوماً في قائمة العوانس ولا أمثالنا ممن نذرن أنفسهن لبناء مجتمعاتهن.

ولا ندري لم الإصرار من قِبل البعض أن البناء لا يكون إلا في البيت فقط، فهل يمكن أن يذهب جهاد المرأة في مجتمعها سدى من غير تقدير، فكم من فتاة علمناها وأدبناها وهيأناها لتكون الفتاة الصالحة، والإبنة البارة والزوجة المطيعة، نعتقد أن هذا ما يجب أن يقدَّر في المرأة الفعالة في مجتمعها، ونعتقد كذلك أن كثيراً من المجتمعات حتى غير المسلمة تقدر في المرأة علمها وعملها.

وفي النهاية فطلبنا كما أسلفنا في الرجل الصالح الكفء على أن يكون مثلنا، وأن يكون صالحاً وملتزماً بأوامر الله، ولا مانع من التعدد إذا كانت لديه الاستطاعة والقدرة كما أمر الله، والأفضل أن يكون المتقدم أسمر، كوننا من أصول إفريقية.

في زماننا الماضي
لم نعرف الطلاق ولا العنوسة[1]

لقاء مع «أحمد حسن البربري» من معمري مكة المكرمة:

الطلاق المنتشر في هذه الأيام لم نعرفه في زماننا، كانت المشاكل الزوجية تنتهي داخل البيت... وأقرب الناس لا يسمع عنها ليس كما هو الحال اليوم في المحاضر والشرطة... أما ظاهرة العنوسة فلم نعرفها أيضاً... فقد كانت البنت تتزوج عندما تبلغ مباشرة... وكان الأب يبحث عن العريس المناسب لابنته ولا ينتظر من يأتي ليخطبها... وأنا تزوجت دون أن أرى الزوجة أو أتحدث معها قبل الزواج.. فقد كانت القلوب مليئة بالقناعة وشهامة الرجال.

اليوم مع الأسف تغير الحال وأصبح الزوج لا يصبر على الزوجة، والزوجة لا تصبر على زوجها... فقد كثرت الطلبات وكثرت المشاكل وقلت البركة، وأصبحت أسمع عن بنات بلغن سن الأربعين ولم يتزوجن وآباؤهن لا يبحثون لهن عن أزواج... يا سبحان الله!! نسأل الله السلامة والعافية والله يهدي الشباب.

نصائح للأزواج:

نصيحتي لكل الأزواج أن يتقوا الله، وأن تكون العلاقة الزوجية بينهم مبنية على الحب في الله... وأن يصبر كل من الزوجين على الآخر... فالحياة لا بد من المنغصات فيها، والفرح والسرور لا

---

(١) بتصرف من جريدة (المدينة الأسبوعية) الأحد (١٤) صفر سنة (١٤١٧هـ) الموافق (٣٠) يونيه سنة (١٩٩٦م)، العدد (١٣٣٤).

يدومان أبداً، وبالصبر نقضي على كل المشاكل.

كما أنصح الزوج بالابتعاد عن السهر ومرافقة أصدقاء السوء، وأن يخصص وقت فراغه لزوجته وأبنائه.

وأنصح الزوجة بالتقليل من الطلبات، وأن لا تنظر إلى من هي أعلى منها، وأن تكون صابرة تتجمل وتتحسن أمام زوجها، ودائماً تظهر له السرور والابتسامة... ونحن عشنا حياتنا الزوجية مليئة بالسعادة بسبب الصبر والقناعة.

عنوسة المطلقة

الطلاق اسم بغيض على النفس يقول ﷺ: «**إنَّ أبْغَضَ الحَلاَلِ إلى الله تَعالى الطَّلاق**»[(١)].

والطلاق قد يكون بسبب المرأة نفسها، أو يكون بسبب الزوج، أو لأسباب خارجة عن إرادة الجميع، ويكون السبب تدخل الأم أو الأب في ذلك.

وتظل المطلقة دون زواج، جالسةً في رحاب العنوسة إلى ما شاء الله.

ولذا ينبغي أن نزيل أوهام الرجال والغشاوة التي على أبصارهم تجاه المطلقات، وكذلك بالنسبة للفتيات لأن كثيرات منهن يفضلن حياة العنوسة على الارتباط بمطَلّق وخاصة إذا كان عنده أولاد.

من بين آراء العلماء في المطلقات[(٢)]؟

[١]ـ الشيخ عبد الله علي برنادي أستاذ القراءات بالكلية المتوسطة ومعهد الحرم المكي الشريف يقول:

إن الدين الإسلامي دين يسر وتكافل اجتماعي، فلقد شرع الله الزواج لتكوين أسرة، وتحصين الفرج وغض البصر، وهذه الأسرة قد تصاب بكوارث ونكبات من الزوجين مما يتعذر مواصلة مشوار الزوجية، بل يصعب عليهما، لذا شرع الطلاق وجعله كحلٍّ وسط

---

(١) أخرجه الدارمي وابن ماجه.

(٢) جريدة المدينة، العدد (٩٦١١)، (١٤١٤هـ).

ومناسب لكلا الطرفين، ومع تشريعه إلا أنه ندبهم ألاّ يسلكوه إلا عند تفاقم الأمر. . . فهو حلال ولكنه أمر مبغوض، فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبغَضُ الحَلاَلِ عِنْد اللَّهِ الطَّلاَقُ**»[1].

ولكن ما هو مصير هذه المطلقة؟ الزوج قد يجد غير امرأته ويتزوجها، لكن زوجته التي طلقت ما هو مصيرها فيما بعد؟ . . .

في القديم لأيام الجاهلية ـ وربما حتى هذه الأيام ـ كانت المطلقة لا قيمة لها لدى المجتمع حيث تصبح وكأنها منبوذة بل إنها كذلك في بيت أهلها ولا يتقدم أحد لخطبتها، كانت هذه هي نظرة المجتمع القديم للمرأة المطلقة.

أما في ديننا الإسلامي الذي هو خير الأديان، لم يكن للمرأة من المكانة المنبوذة ما كان لها في المجتمعات والأديان السابقة. . . بل أعطى لها حرية الزواج حيث ندب وليها إلى اختيار الزوج المناسب لها حينما رغب الدين الشباب إلى الزواج ذكرهم بأن لا تنسوا فئة المطلقات لأنهن كاسرات القلب، وربما تصيبهن العقد النفسية والأمراض التي لا علاج لها فيما بعد، فهن ينظرن إلى الحياة بمنظار قاتم مظلم أسود.

ويرجع السبب في ذلك إلى المعاملة التي تُعَامل بها المطلقة من قبل بعض الأسر التي تحيط بها من القسوة وإلقاء اللوم.

وهناك بعض الأسر تأخذ بجانب آخر في التعامل السيء على المطلقة حيث يعتبرونها عالة عليهم.

لكن علينا أن نرجع إلى الوراء قليلاً، لنرى كيف كانت المطلقة أيام السلف الصالح الذين كانوا خير أسوة، فإذا قرأنا سيرة بعض الصحابة نجد أن زوجات بعضهم هن في الأصل مطلقات من أزواج

---

(١) رواه أبو داود وغيره.

آخرين، وعلى سبيل المثال لا الحصر أسماء بنت عميس رضي الله عنها تزوجت من أبـي بكر الصديق ومن جعفر بن أبـي طالب رضي الله عنهما.

ونذكر من هؤلاء جميعاً أفضل الخلق محمد عليه الصلاة والسلام فإننا لو تتبعنا سيرته نجد أن جميع زوجاته ما عدا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثيبات... لم ينظر الرسول ﷺ إلى المرأة المطلقة كما تنظر إليها بعض الأسر هذا اليوم، وكذلك الصحابة لم ينظروا إليها نظرة المجتمعات الحالية.

والمطلقة ستكون بعد تجربتها الأولى زوجة ـ بإذن الله ـ للرجل الصالح.

وبهذا إذا تغيرت نظرة المجتمع إلى المطلقة أو المطلق وتعاملوا معهم أو معهن على أنها امرأة فيها الأوصاف التي ذكرها رسول الله ﷺ فإن باب العنوسة سيغلق ولن تقوم له قائمة.

[٢] ـ الأستاذ هشام محمد البناني محاضر الثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى(١)؛

المرأة المطلقة أحياناً تكون من خيرة نساء المجتمع، وقد تكون مُطلقة بسبب شريف، وإذا عرف هذا السبب زادها شرفاً ومكانةً عند الله وعند الناس، ويجب على الناس أن لا ينظروا إلى هذه القضية نظرة في غير محلها، ولا داعي للتشكيك في دواعي الطلاق وتحميل المرأة من الاتهامات ما لا تطيق، فإن مثل هذه المقالات تشاع بين الناس وتظل تلك الاتهامات سَيْفاً مسلَّطاً على رقاب المطلقات رغم نزاهتهن وطهارتهن فلا يفارقن شبح العنوسة نتيجة لذلك.

وإن الذين يرغبون في الزواج عليهم البحث عن المرأة الصالحة

---

(١) جريدة المدينة، العدد (٩٦١١)، (١٤١٤هـ)، بتصرف.

سواء كانت بكراً أو ثيباً ذات الدين والخلق.

وهناك من الآراء الكثير حول المطلقات، ومنهن من يقول: إن من الإجحاف بالمطلقة أن نسيء معاملتها، وأن نمْتَهِنَ كرامتها في بيت أهلها، وأن نعاملها بالقوة والغلظة والنظر إليها كأنها مجرمة في حق المجتمع ونفسها، علماً بأنه من الممكن أن تكون هذه المطلقة قد لاقت الذل والهون والأهوال، وكثيراً ما لاذت بالصمت، وتجملت بالصبر، حتى يبدل الله من حال إلى حال، ولكنه المحال ما طلبت وما صبرت عليه، ولذلك فما كان بداً من قبولها وطلبها أبغض الحلال.

ولا تنسى أن المطلقة قد زودتها التجربة بالخبرة الكافية لمعرفة كيفية التعامل مع شريك الحياة في المستقبل، فالمطلقة رغم اكتسابها هذا اللقب إلا أنها إنسانة تحمل في قلبها الحب لمجتمعها.

فلماذا يرفضون أن يزوجوا أبناءهم ممن سبق لهن الزواج وتَعَلَّمن الكثير من دروس الحياة الزوجية ومعتركها وحلوها ومرها بحيث تكون أكثر مرونة على مواجهة المشاكل بمختلف أنواعها وألوانها.

ومن جماع ما تقدم نقول بأن المطلقة إنسانة من عداد الصالحات قد جنت عليها الظروف واستحالت عشرتها مع رجل له من العيوب ما سبق، ويجب أن نعتبرها من الصالحات فلقد أصبحت ذات خبرة وتجربة كافية لمعرفة كيفية التعامل مع شريك حياتها الجديد.

فالإسلام دين السماحة والعزة، حفظ للرجل مكانته وللمرأة كرامتها، فالإقبال على المطلقات الصالحات إرضاء لله ورسوله وسد لباب الشيطان وأوليائه، والقضاء على العنوسة بأشكالها وأنواعها.

العنوسة المشكلة والحل[1]

أضحت حياتنا معادلة صعبة لا نستطيع فكَّ الكثير من رموزها وأشياء عديدة حولنا يحيطها ألف علامة استفهام، وألف علامة تعجب، تحتاج منا صراحة تامة مع النفس، وشجاعة في مواجهتها.

وتستأثر مشكلة تأخر سن الزواج عند شبابنا بنصيب كبير من علامات الاستفهام والتعجب وهذا ما تؤكده الإحصائيات والأرقام فقد أشارت إحدى الإحصائيات إلى أن عدد عقود الزواج المسجلة بمحاكم (أبو ظبي ١٩٨٩) بلغت ٨١٤ عقداً منهم ٤٧٪ مواطنين من مواطنات و٣٦٪ مواطنين من وافدات و١٧٪ زواج مواطنات من وافدين، مما يعضد صدق الشكوى من هذا الصداع المزمن الذي يعاني منه مجتمع من المفروض أن يتمتع بثراء يحول دون ظهور مثل تلك الأمراض الاجتماعية التي كنا نظنها من أعراض الفقر!

وتشاركنا **لمياء «٢٣ سنة/ أبو ظبي»** الرأي قائلة: للأسف الشديد بدأت ظاهرة العنوسة والتي اتسع مفهومها لتشمل الشباب أيضاً، تطفو على سطح المجتمع رغم خروج المرأة الإماراتية الآن للتعليم والعمل، فمن قبل لم يكن ذلك متاحاً بتلك الصورة. ورغم ذلك لم يكن هناك مشكلات في الزواج وكان الشباب والفتيات يتزوجن في سن مبكرة عما هو عليه الآن!

وترى **عبير «٢٥ سنة/ الشارقة»** أن أسباب المشكلة مادية بحتة حيث تقول رغم ارتفاع متوسط دخل الفرد في الإمارات، إلا أن لمشكلة

---

(١) مجلة الإصلاح، العدد (٢٨٦)، ٢٨/ ٤ ـ ٤/ ٥/ ١٩٩٤ حنان عطية.

العنوسة المتفاقمة أسباباً مادية بحتة، لأن ارتفاع الدخل واكبه ارتفاع مماثل وربما أكبر في أنماط سلوكياتنا الاستهلاكية مما يعني غلاء في أثمان كل شيء في حياتنا، ورغم إحساس الجميع بذلك إلا أننا لا نعرف كيف نتحرر من تلك الأغلال!.

العادات والتقاليد:

بينما ترجع «**أمل ٢٧ سنة/ دبي**» أسباب المشكلة إلى العادات والتقاليد فتقول: أعرف أن تكاليف الزواج المعاصر أصبحت باهظة لكنني لا أرى أن المال يمثل العقبة الرئيسية أمام تيسير عملية الزواج المبكر عندنا، بل السبب الرئيسي يكمن في المجتمع بكل تقاليده وأعرافه التي اعتادها.

فمثلاً كان مهر أمي ٤٠٠ درهم وكان حينها من أعلى المهور، لكن هل يمكن أن تقنع أمي بمهر بسيط لي كهذا؟ ولو فعلت ذلك كيف يمكن أن تواجه مجتمع الأصدقاء والأقارب والجيران؟ فالمجتمع ككل يقر ذلك الغلاء في المهور وتكلفة الزواج. ففي إحدى القرى حاول أهل الرأي أن يحددوا المهور ويجعلوا أفراح شباب القرية جماعية إلا أن أهل القرية أنفسهم رفضوا الفكرة من جذورها.

قروض ربوية:

وتفجِّر **فاطمة «٢١ سنة/ عجمان»** مشكلة أخرى بقولها: إن المشكلة ليست فقط في إتمام مشروع الزواج رغم أنف العقبات المادية، لكن المشكلة تكمن في مدى قدرة عروس انتهجت في كافة شؤون حياتها نهجاً استهلاكياً مرتفعاً على تحمل ضيق العيش مع شاب مثقل بديون تكاليف عرسه الباهظة حيث يظل الشاب يسدد قروض البنك وفوائدها الربوية من راتبه، مما يعني محدودية دخله لعشرات السنوات، وهذا واقع حقيقي يجعلنا أمام خيارين كلاهما أصعب من الآخر.

إما أن نتحمل كبر سن الزواج بالنسبة للفتى والفتاة حتى يتمكن

الشاب من تكوين نفسه بدون قروض أو ديون . . . أو تتنحى المواطنة عن موضعها وتترك المكان لوافدة يستجلبها الشاب لانخفاض تكلفة زواجه منها. وبذلك يتمكن من حل مشكلته في سن مبكرة بينما تظل المواطنة تعاني من آلام العنوسة ويعاني معها المجتمع من خلل في تركيبته السكانية.

عرس أسطوري:

وتقول «أم أحمد/ دبي» لديَّ خمس فتيات وولد، كبرى بناتي تكمل تعليمها الجامعي وهي الآن بلغت الرابعة والعشرين من عمرها ولكن لم نشعر بمشكلة في عدم زواجها حتى الآن، لأن معايير السن اختلفت الآن عن ذي قبل.

فمثلاً كان سن العشرين من سنوات قليلة يمثل سن العنوسة، أما الآن في عصر التعليم الجامعي وعمل الفتاة تلاشى معيار العمر في عملية الزواج، كما أنني لا أستطيع أن أفرض على ابنتي زواجاً بسيطاً وأنا أراها تمسك بالمجلات وتحلم بالأزياء والمفروشات والمجوهرات والعطور المرسومة على صفحاتها وتحلم بعرس أسطوري مثل عرس الأميرة ديانا وغيرها ممن أضفى الإعلام على مراسم أعراسهن لمسات حالمة تشد كل فتياتنا إلى الحلم به.

هذا ورغم كل ما قد يفتعله البعض من أسباب يبقى المال سيد العناصر الفاعلة في تكوين مشكلة العنوسة في مجتمع الثراء النفطي.

ورغم إلقاء الفتيات بالتبعية على الشباب الذي يتزوج من وافدة، أو بالتبعية على التقاليد، ورغم مطالبة الشباب بوضع قوانين حازمة تحدد المهور مثلما فعلت سلطنة عمان لمواجهة نفس المشكلة، ورغم ما يقدمه صندوق الزواج من منح لشباب الإمارات، إلا أننا في النهاية نرجع كما بدأنا وفي جعبتنا ألف علامة استفهام وألف علامة تعجب ونحمل بداخلنا سؤالاً:

أين الإنسان هنا بين رنين الدراهم في رحلة الزواج؟.

علاج للعنوسة

[١]- علاج الدكتور/ محمد عبده يماني في «أقصوصته لقضية العوانس»[١]؟

يعالج الدكتور محمد عبده يماني هذه القضية من خلال رجل فقد زوجته الأولى ثم الثانية ثم الثالثة حتى تشاءم الناس منه، أشاعوا أنه يدفن من يتزوجها، فقد توفيت الأولى بحادثة سيارة والثانية بعد أن صعقها التيار الكهربائي، وتقف القصة عند الثالثة وقفة قصيرة: لِمَ لا تتزوج يا أبا صالح؟

من تقبل زوجاً يعول أربعة يا أبا حمزة؟ من يا أبا حمزة؟ وبعد أن دفنت زوجتين.

وذَكَّره «أبو حمزة» بأن صديقهما «سليم» له ابنة مضى عليها مدة طويلة لم تتزوج، وقد تقدم بها العمر.

رحب «سليم» بهما ترحيباً حاراً لصلتهما الوثقى القديمة، فهما من سكان الحي القدامى، وتكلم «أبو حمزة» عن متاعب أبـي صالح مع الأطفال الأربعة وهو ينظر إليه نظرة يظهر عليها الرثاء والألم، واقترح سليم بأن ليس من حل المشكلة إلا بالزواج، وحانت اللحظة المواتية.

لقد جئنا من أجل هذا. . . يا «سليم»، جئنا نخطب فاطمة وَوَعَدَ «سليم» خيراً.

وملأت فاطمة المنزل بالسعادة، وفَرِح بها الأطفال وأقبلوا

---

(١) من مجموعة «امرأة في الظلال» د. محمد عبده يماني ص (٨).

عليها، وعادت الحياة إلى المنزل وفاطمة تبذل من ذاتها أكثر مما تتحمله طاقة البشر لتوازن بين عنايتها بالأولاد ورعايتها للأب الذي يشكرها في كل نظرة يلقيها عليها.

ولكن قضاء الله نافذ، فتتوفى فاطمة بعد أن أُدخلت المستشفى للولادة لتترك له توأمين... ولولا إيمان ثابت، ويقين أصيل لقضت الصدمة عليه، وأحس أن الدنيا كلها تقف شامتة منه.

تبارى الناس في إطلاق الشائعات، ولم يرحموه، ويقدروا معاناته مع أطفاله من حي لآخر، لكن هل هذا ينفي عنه الشؤم الذي يلصقه الناس به؟!!

ويشاء القدر بأن يتزوج أبو صالح من «مزنة» ابنة «أبي حمزة» بعد أن اقتنع أبوها بأن هذه الأقوال باطلة، وليست من الإسلام في شيء، فهو لا يعرف التشاؤم ولا يقره.

لم يخطر ببال «أبي حمزة» أن شابة في عمر «مزنة»، يمكن أن تدفعها أحداث المأساة إلى مشاركة والدها الألم، ثم تقاسمه البحث عن حل.

وفي اللحظة التي تصل المأساة فيها إلى ذروتها تجعل من نفسها وشبابها ساحة الحل «لأبي صالح» وأولاده، وفوجىء بها تقترب منه أكثر وهي تقول: لقد وجدت الحل الأمثل للمشكلة يا أبي!

وما هو؟

أنا الحل... إذا كان يوافقكم ويرضيكم...

فاقت المفاجأة كل تصوراته... فارتبكت مشاعره... هل يفرح لأن ابنته فياضة الأحاسيس والمشاعر إلى هذا الحد؟ أم أنها تريد حل مشكلة عرضت له، ولو على حساب شبابها وحيويتها؟

ـ مزنة... إن له ستة أولاد!!

قالها في لهجة تحذير... فعادت تقول:

ـ لماذا لا أكون أماً لهؤلاء الستة يا أبـي؟.

[٢] ـ اللحاق بقطار الزواج والبعد عن العنوسة بريالين:

لو أن الناس تدبروا في أمر بناتهم وأبنائهم.

لو أنهم فكروا قليلاً في عراقيل الزواج صنع أيديهم.

لو مدوا يد العون إلى بناتهم وأبنائهم.

لو أخذوا بحكمة التعدد في الزواج.

لو أخذ الناس برأي قبيلة بني شهر لأزَلْنا لفظ العنوسة من القواميس عربية كانت أو إفرنجية، ولدُفِنَت هذه اللفظة إلى غير عودة، ولسعدنا ببناتنا، ولارتاح الآباء من تلك التي يسمونها المهور... هذه هي آراء قبيلة بني ثابت وبكر من قبيلة بني شهر[١].

وتتابع الجريدة مقالها فتقول:

محاربة العنوسة بريالين فقط

فحينما بدت مشكلة غلاء المهور وكأنها قد استعصت على كل حل ممكن، توصلت قبائل بني ثابت في بلاد بني شهر إلى مفتاح الحل لمغاليق هذه المشكلة الاجتماعية العويصة التي شغلت المثقفين والكتاب والمفكرين والدعاة فتناولوها مراراً وتكراراً وعبر مختلف وسائل الإعلام والمنابر داعين الناس إلى خفض المهور وتيسير أمر الزواج أمام الشباب لإكمال نصف الدين، وترك العديد من مظاهر البذخ الأخرى التي لا طائل من ورائها سوى إثقال كاهلهم بالديون.

---

(١) جريدة المدينة، العدد (٢٠٢٨١) بتاريخ (٢٦) ربيع الثاني سنة (١٤١٥هـ).

ويتمثل هذا الحل الذي توصلت إليه قبائل بني ثابت في اتفاقهم على تزويج بناتهم بمهر رمزي زهيد مقداره «ريالان فقط»، وهي خطوة نعتقد أنها رائدة في مجال تحصين الشباب لم يسبقهم إليها أحد من قبل، وقد استمروا عليها منذ عهد آبائهم وأجدادهم إلى يومنا هذا رغم التطور الكبير الذي طرأ على حياتهم وانعكس على أحوالهم الاقتصادية حيث تمسكوا بهذا المهر ـ على قلته ـ رغم ما يشاع عن غلاء المهور في مناطق أخرى قد تصل إلى عشرات الآلاف من الريالات وإلى أرقام خيالية في أحيان أخرى.

ونحن نعتقد أن ما اتفقت عليه هذه القبائل فيما يتعلق بتخفيض المهور إلى هذا الحد الذي يجعل من الزواج أمراً أقرب إلى «المجانية» منها إلى شيء آخر.

تجربة فريدة وفذة، تستحق منا كل إبراز وتنويه لحمل الآخرين على أن يحذوا حذوها بما يخفف أعباء الزواج على بناتنا وأولادنا على حد سواء، ولإزاحة هذه العقبة الكؤود عن طريقهم والتي تحول دون تحقيقهم لأحلامهم في الزواج والحياة الآمنة المستقرة بعيداً عن أسْر الديون، أو الانسياق وراء كثير من المظاهر الزائفة تقليداً ومحاكاة أو إرضاء للآخرين.

في تجربة زواج (بني شهر) اكتشفنا أنه لا وجود لما يسمى بمقدم ومؤخر الصداق، لا ذهب ولا مجوهرات ولا حفلات زواج، وغيرها مما يرهق كاهل الشباب، بل تركت كل هذه الأمور لتقدير كل زوج وظروفه بعد عملية الزواج واستقلاله بعروسه في منزل منفصل ليشتري لزوجته كيفما يريد ويشتهي دون تدخل من أحد.

ملحوظة: تسكن (بني شهر) على بعد مائة وثلاثة وخمسين كيلومتراً من «بيشة» باتجاه الغرب في بلاد (بني شهر)، وقد كان هذا حديث الشيخ سعيد بن حمدان الشهري شيخ بني ثابت.

لقد دار الحديث عن أصل الحكاية فأجاب الشيخ «نعم» المهر عندنا ريالان فقط. هذه حقيقة ونظام متبع ورثناه عن آبائنا وأجدادنا منذ أكثر من ثلاثة قرون، وبينما كان المهر في السابق ريالين فرنسي، أصبح الآن ريالين ورقاً، ونحن ما زلنا متمسكين بعادات أجدادنا في هذا الخصوص، ولا نسمح لأحد بتغييرها مهما كان الأمر.

وحتى لا يكون هناك اتفاق سرِّي بين أهل العروس والعريس ففي ليلة الزواج يَقْسِم الطرفان على عدم وجود أية اتفاقيات، أو دفع مبالغ إضافية أخرى خارج نطاق الاتفاق، وبالإضافة إلى ذلك يقوم أفراد من القبيلة بعد عام من الزواج بالطواف على البيوت لتجديد القسم للتأكد من ضمان سريان الاتفاق الأول.

ولا توجد أية شروط قبل الزواج، ويحق للزوج بعد إتمامه عملية الزواج أخذ زوجته والذهاب بها إلى أي مكان، أو أن يعيش مع أهله وزوجاته الأخريات إذا كان قد سبق له الزواج من قبل، وهذا لا يثير غيرة الزوجات الأخريات على الإطلاق، ولا ننسى أن الشرع قد أباح ذلك، صدقني لا توجد أي مشاكل حول هذا الموضوع، ولكن حدث في الآونة الأخيرة تطور هام هو أن يتم الاتفاق على تخصيص مسكن مستقل بالزوجة الجديدة خاصة إذا كانت متعلمة وتفضل الحياة والاستقلال ببيتها، ولكنها تظل حالات نادرة يتم الاتفاق حولها بكل هدوء وتراض بين الطرفين.

زي العروس:

في السابق كان فستان العروس من «الساتان» الأسود ولا يزال الكثيرون متمسكين بهذه العادة غير أنه طرأ تطور على «فستان الزفاف» نحو الأحسن.

الزواج الجماعي:

لا يوجد لدينا زواج جماعي، وموسم الصيف هو أفضل فترات السنة لعقد هذه الزيجات.

ولا يوجد لدينا إسراف في حفلات الزواج، كما لا يُلْزَم العريس بعدد معين من الذبائح، وكل إنسان حسب ظروفه وإمكانياته.

انخفاض المهور قد يؤدي إلى الطلاق:

هذا شيء نادر الوقوع، والناس هنا لا تفكر بهذه الطريقة، والدليل على ذلك وجود الكثير من رجال «بني ثابت» الذين أفنوا عمرهم مع زوجة واحدة، وفيما لو تبين أن شخصاً ما يستغل انخفاض المهور في الإكثار من الزواج والطلاق فإننا نقف ضده بكل قوة ولا نسمح له بذلك، بل إن مثل هذا الشخص لن يجد من يزوجه مرة أخرى، وإذا ما أصر على موقفه فيتوجب عليه البحث عن زوجة في مكان آخر وبالمهر الذي يصل لعشرات الآلاف من الريالات.

حالات العنوسة الموجودة في «بني ثابت» ومتوسط عمر الزواج:

لا وجود للعنوسة بين بناتنا، ومن النادر جداً أن تبلغ البنت عندنا سن السابعة عشر دون زواج، ومتوسط سن الزواج للفتيات بين الخامسة والسادسة عشرة، وفي سن الثامنة والتاسعة عشرة.

العرسان من غير أبناء القبيلة:

من حيث المبدأ نعم، ولكن في مثل هذه الحالة فإن مهر البنت يكون وفقاً لما حددته إمارة منطقة عسير أربعين ألف ريال للبكر وعشرين ألف ريال للثيب وليس بريالين، الريالان فقط لبني ثابت «ببني شهر».

سلبيات هذا الزواج:

لا توجد أية سلبيات والناس هنا تعيش في أمن واستقرار وأنصح معشر الآباء بعدم المغالاة في المهور حتى يتمكن الأولاد والبنات من الزواج بكل يسر وسهولة، ونحن في «بني ثابت» ببلاد «بني شهر» إحدى القبائل الكبيرة بالمنطقة الجنوبية لا توجد لدينا ـ والحمد لله ـ أي مشاكل زوجية، ونأمل من الجميع في مختلف مناطق المملكة أن يحذوا حذونا.

ومن أمثلة نجاح مثل هذه الزيجات قال المواطن (**حمدان سعيد**) «**٨٠ عاماً**» إنه تزوج من امرأة واحدة في حياته وبريالين فقط وله منها خمسة أولاد، بينما فعل والده ـ الذي تجاوز المائة عام وما يزال على قيد الحياة ـ الشيء نفسه لقد أصبح هذا نظاماً ثابتاً في حياتنا، ولا ننظر لغيره كما ينظر إليه الآخرون من الخارج، ونحن نسمع دائماً عن المهور التي تصل مئات الألوف، فمن أين ذلك للشباب وما ذنب الفتيان والفتيات؟.

أحد العروسين يتكلم «إنه العريس عبد العزيز عبد الله مهدي الشهري «٢٠ عاماً» فيقول»:

إن مهْره كان ريالين حسب النظام المتبع في القبيلة وإنه لم يشتر أي ذهب أو خلافه، ولم يطلب منه أحد سوى «الريالين»، ثم أخذ بنت عمه العروس الطالبة بالمتوسطة إلى بيت الزوجية ولم يشترط عليه عمه أية شروط. ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لشقيقه **سالم عبد الله مهدي** «**٢٣ عاماً**» الذي تزوج معه في نفس الليلة ولم يدفع أكثر من ريالين لأهل عروسه والذي لم يطالبوه أيضاً بأية شروط أخرى أو هدايا أو ذهب ولكنهما سوف يفعلان ذلك من تلقاء أنفسهما ومتى سمحت الظروف بذلك.

الشيخ محمد مانع الشهري: شيخ قبيلة «أكرم» ببلاد بني شهر يوضح المسألة أكثر:

إن الزواج في قبائل «بني ثابت» يختلف عن أي زواج آخر وهذا ما درج عليه آباؤهم وأجدادهم، فالمهر لا يزيد بأي حال من الأحوال عن هذين الريالين اللذين يقدمهما العريس عند العقد فيما يقوم بتجهيز منزله بكامل الأثاث، وهناك لجنة من القبيلة لمتابعة الموقف، ويندر حدوث حالات طلاق تبعاً لذلك للروابط القبلية والأسرية القوية التي تربط أفراد القبيلة.

وقد أشار الشاب **حسن سعيد سالم الشهري** الطالب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة في هذا السياق إلى أن ارتفاع نسبة العنوسة بين الفتيات في القرى المجاورة لهم بسبب غلاء المهور.

كما أشار الطالب «**محمد سعيد سالم الشهري**» إلى أن هذا المهر ينطبق على جميع فتيات القبيلة بما في ذلك الطبيبات والمدرسات.

الدكتور محمد سعيد المطاوع الأخصائي الاجتماعي بجامعة الملك سعود يقول:

إن قبيلة «بني ثابت» صارت مضرب المثل في تسهيل أمر الزواج لشبابها ليس في المملكة فحسب بل على مستوى العالم بأسره، مؤكداً أن مفاتيح حل قضية العنوسة وغلاء المهور بأيدي الآباء وتفهمهم الواعي للأوضاع الاقتصادية التي يمر بها كثير من الشباب، مشيراً إلى تحمل مسؤوليات زوجة وبيت وأطفال لا تُشترى بالمال وإنما بالشاب المتدين الخلوق الذي يرعى الحياة الزوجية حق رعايتها، ويوفر أسباب العيش الكريم لأسرته.

من هنا يتضح لنا أن مشكلة غلاء المهور ذات أبعاد اقتصادية، واجتماعية، واقتصادي اجتماعي، ولا يتأتى الحل إلا باتخاذ خطوات اجتماعية جريئة لنبذ كل ما من شأنه أن يعوق شبابنا عن الزواج.

نحن لا نطالب بأن يكون مهر العروس ريالين كما تفعل قبائل «بني ثابت» فقط نقول: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) وتنازلوا قليلاً لكي نفرح كثيراً.

أب يزوج بناته الثلاثة بثلاثين ريالاً[1]

جدة ـ صالح متعب الغامدي:

زاد من فرحة الحضور لتلك الليلة الجميلة التي ضمت ثلاثة عرسان، هو ذلك القرار واللفتة الطيبة من والد الفتيات الثلاثة بأن طلب من المأذون أن يسجل مهراً لكل بنت عشرة ريالات فقط.

فقد ضرب المواطن/ محمد سحمان الغامدي مثالاً طيباً للأب الذي لم يكتف بتحديد هذا المهر الرمزي إنما أصر أيضاً أنه سيقوم بجهاز بناته الثلاث كاملاً وعلى حسابه دون تكليف للعرسان، والسبب كما أوضحه للمدينة الأسبوعية... أن فرحته بزفاف بناته لا يفوقها سوى توفيقه في العثور على أبناء الحلال الذين يطمئن إليهم في الحفاظ عليهن.... وقال إنه اختار لبناته رجالاً صفاتهم الأولى هي الإيمان... ولذلك لم أنظر إلى المهر مهما كان حجمه.

وأضاف أن ما يسري على بناتي الثلاث سأنفذه في بقية بناتي عندما يأتي أولاد الحلال... وأهاب بجميع الآباء بالبعد عن المغالاة في المهور... فهي إرهاق للعرسان وديون طويلة الأجل... تحيل حياة الزوجين إلى جحيم.

---

(١) جريدة المدينة المنورة، العدد (١١٥٩١) الصادر في يوم الأحد (٢٣) رجب (١٤١٥هـ).

مر قطار الزواج من هنا

لماذا يفوت قطار الزواج كثيراً من الفتيات؟ وما الأسباب التي تدفع بالشباب إلى الإعراض عن الزواج؛ الأمر الذي يؤدي إلى زيادة في «عدد العوانس».

أهي أسباب اقتصادية؟ ربما.

أهي أسباب اجتماعية؟ ربما.

أهي أسباب شخصية؟ ربما.

أهو الزواج من الأجنبيات؟

قد يكون أحد هذه الأسباب!! ولكن كيف تُعالج هذه الظاهرة الخطيرة؟ وكيف يتم تجاوز أسبابها؟

إن هذه مهام علماء الدين، ورجال الاجتماع، وأهل المال وذوي النفوذ الاجتماعي.

في بعض المجتمعات المسلمة، تدفع المرأة ما يسمى «الدوطة» وهو في حقيقته مهر يقصم ظهور الآباء كما في بعض البلاد الشرقية مثل (سريلانكا) على سبيل المثال، وفي الوقت الذي لا يزيد ما يدفعه الرجل للمرأة من مهر في هذه البلاد على «٥٠» روبية! فإن على المرأة أن تتحمل تكاليف الزواج التي تزيد على خمس وعشرين ألف روبية، فتتزوج الثريات ممن يملك آباؤهن المال. وتبقى الفقيرات معذبات حائرات ينتظرن القادم الذي لا يحضر، ولو عكسنا الصورة أيضاً لوجدنا النتيجة نفسها في مجتمعات مسلمة أخرى، فكثير من الشباب لا يملكون أن يدفعوا المهور الغالية، وكثير من الآباء والأمهات لا يتنازلون

بسهولة عن عُرف المجتمع وما تواضع عليه الناس.

وقد يكون هو السبب شخصياً، أو يكون سببه المجتمع.

العنوسة لها متاعبها، فإذا مر بالعانس عرس، أو جاءتها خواطر عرس تقول في نفسها وأحياناً لأمها «يا رب أنا لست أبتغي عرساً تَسْطَع فيه الأنوار، كل ما أبتغيه هو إنسان، هو زوج أبدِّد به غيوم وحدتي، أسكن إليه، أتفيأ ظله في صحراء هذه الحياة القاحلة، وفي درب عمري المجهول».

ويُصْبح نداء الفطرة مُدوِّياً في الأعماق: «إن كل ما أبتغيه «يا رب» هو أن أسمع إلى جانبي من يناديني ـ ولو لمرة واحدة ـ بذلك النداء الخالد ـ ماما، ماما.

أريد أن أكون أماً لطفل أضمه إلى صدري، وألقمُه ثديي، وألْثم وجهه وعينيه، فإلى متى يا رب؟ إلى متى أنتظر؟ ألا يكفي أني دخلت الثلاثين؟!!

وأنا نادمة جداً، ولكن للأسف ندمي جاء متأخراً بعض الشيء، وقد بلغت اثنين وثلاثين عاماً كم كنت سخيفة لأنني أضعت مستقبلي لأجل شيء لا يدوم. ولم أبحث سوى عن المظهر...».

لقد رفضت خطبة ابن عمتي بحجة استكمالي لدراستي، ورفضت أخرى بحجة أني صغيرة السن، ورفضت ثالثة ورابعة، مُتصنّعة شتى المعاذير في رفض الناس. لقد كنت فتاة غرِّيرة لا أملك من أمري شيئاً ولا أعرف مدى خطورة ما أفعل على حياتي وعلى مستقبلي.

لقد كنت دائماً أتطلع إلى الأحسن وإلى الزوج المثالي الذي يناسب عائلتنا في علمه ومورده وشكله وأصله وفصله، رفضت المحامي لأن أهله بسطاء، متأخرون لا يعرفون تقاليد الزيارات، اختلاطهم بالمجتمعات قليل.

حتى من كان مناسباً في ثقافته وهيئته ونظرته، لم أقبل به زوجاً، متعللة بأنه ليس من أبناء الأسر المعروفة، إن أباه قروي نزح إلى المدينة، والناس تنظر إليه على أنه قروي.

وجاءني الشاب المتدين، ذو اللحية تنفيذاً لأمر نبيه ﷺ أسرته من أعرق العائلات، ذو الأصل الطيب والسيرة الحسنة، فقلت في نفسي، «ألست أستحق شاباً خيراً من جميع أولئك الذين تقدموا لي؟ ألست متعلمة؟ ألست موظفة ذات دخل جيد؟ ألست ذات حسن وجمال تغبطني عليه الكثيرات؟ وإذا كان الشاب المتدين فيه الصفات المطلوبة لي إلا أنه سيعترض عليَّ بلباسي، ويلزمني بعاداته وتقاليده التي يفرضها عليَّ، وبسبب تفكيري القاصر وصلت من السن أرذله».

وتمر السنون وهي نادمة على ما اقترفت يداها، وتستمر على حالها تفكيراً وتأنيباً وندماً، الأيام مؤلمة، والرجال ما زالوا في غيهم وصدهم.

«أصبح كل شيء أمامي أسود حالكاً، أصبحت أضيق بنفسي، بالبيت الذي أعيش فيه، بأمي التي لم تفرض سيطرتها عليَّ بعد وفاة أبـي، أصبحت أنفر من زميلاتي وأتحاشى رؤيتهن حاملات أطفالهن.

أصْبَحَتْ كلماتُ أمي سهاماً مصوبةً إلى صدري، ونظرات الناس إشعاع شفقة عليَّ، لقد تسببت في عنوستي.

إنني أناشد المجتمع بتغيير تلك المفاهيم بإصدار مراسيم تنصف العوانس، أوَلَسْن أهلاً للإنصاف؟ أليس في قلوبهن عاطفة الأمومة، حنان الأنوثة، فطرة المرأة! تلهفها لبيت وزوج وطفل!!».

ويدور في خلدها أن الإنصاف للعوانس يأتي من تنفيذ شرع الله سبحانه وتعالى والأخذ بمبدأ التعدد، الشباب ندفعه ونشجعه على الزواج ونعطيه المساعدة إذا كان في حاجة إليها تأسياً بما كان يفعله عمر بن عبد العزيز.

ننشر قصص العوانس وأسبابها حتى تنتبه الفتيات وَتَفُوقُ من غفلتها وتصحو قبل محطة العنوسة.

نلقي المحاضرات في المدارس والجامعات.

ونبصِّر الشابات والشبان بالبعد عن الخيال المؤدي إلى العنوسة.

ونمسك بعالم الأزواج والزوجات.

نبين فضْل التعدد ومن كانت له واحدة فليأت بالثانية حتى ولو وصل إلى ما أباحه الله به من أربع زوجات.

أين الجمعيات؟ أين المراكز الإرشادية؟ إني أمد يدي إلى من يريد أن ينتشلني من براثن العنوسة حتى ولو كنت الزوجة الرابعة...[1].

(١) مجلة النور، العدد (١٠٩) لعام (١٤١٥هـ).

آراء العلماء في
مشكلة العنوسة وغلاء المهور

تزويج البنات أمانة:

الشيخ ابن العثيمين[1]:

حذَّر الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ عضو هيئة كبار العلماء ـ من المتاجرة بمهور البنات من قبل الآباء والأولياء.

وقال إن هذه المسألة مسألة عظيمة ومشكلة كبيرة، فإن بعض الرجال ـ والعياذ بالله ـ يخونون الله ويخونون أماناتهم، يجنون على بناتهم.

والواجب على الولي أن يتبع ما يرضي الله ورسوله، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ [النور: ٣٢]. أي زوجوا الصالحين من العبيد والإماء الرقيقات، وقال النبي ﷺ: «**إذا جاءكُم من تَرضَوْنَ دينَه وخُلُقه فأنكحُوه، إلا تَفْعلوا تكُنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كَبِير**»[2].

وأضاف **الشيخ العثيمين**: بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ يجعل ابنته سلعة يبيعها لمن يهوى ويمنعها عمن لا يهوى، فيزوجها ممن لا يرضى دينه ولا خلقه لأنه يرى ذلك، ولكن لأننا لم نصل إلى درجة تجرؤ فيها المرأة على أنه إذا منعها أبوها من الكفؤ الذي رضيته ديناً وخلقاً، تذهب

---

(١) جريدة المسلمون بتاريخ (٩/ ٥/ ١٤١٥هـ).

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

إلى القاضي فيقول لأبيها: زوجها أو أزوجها أنا أو ولي غيرك، لأن هذا حق للبنت أن تطلب من القاضي أن يزوجها ولي آخر، أو يزوجها القاضي إذا منعها أبوها من كفء، وهذا حق شرعي، فليتنا نصل إلى هذه الدرجة، لكن أكثر الفتيات يمنعهن الحياء من أن يقدمْن على هذا، وتبقى النصيحة للولي أن يتقي الله عز وجل وألا يمنعها فتفسد وتفسد، وليَزِن ذلك بنفسه، لو أنه أراد النكاح ومُنع منه فماذا يكون شعوره؟

ومضى الشيخ العثيمين في حديثه قائلاً: لقد خُبِّرتُ قديماً أن رجلاً ـ والعياذ بالله ـ كان يمنع بناته من تزويجهن، فكبرْن فمرضت إحداهن، وقد يكون مرضها أيضاً ـ والله أعلم ـ بسبب منعها من الزواج، لكنها في سياق الموت وعندها نساء أوصتهن وقالت: «قلن لأبـي حسبـي الله عليك، وإن موعدي معه يوم القيامة والعياذ بالله»، هكذا تقول لأبيها، وعلق الشيخ محمد بن صالح العثيمين على هذه القصة قائلاً: إن هذه الفتاة وإن لم تقل هذا الكلام فهو الواقع حتى ولو لم تقله، فستكون خصماً لأبيها يوم القيامة. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٦].

وفي ختام حديثه عن الموضوع وجّه نصيحة لأولياء الأمور من آباء أو إخوة أن يتقوا الله عز وجل وألا يمنعوا النساء مما هو حق لهن وهو تزويجهن بمن يرضى دينه وخلقه.

وقال: نعم لو طلبت الفتاة الزواج ممن لا يرضى دينه فله أن يمنعها، لكن أن تختار رجلاً صالحاً في دينه، مستقيماً في أخلاقه ثم يمنعها لهوى في نفسه، هذا ـ والله حرام ـ، وإثم وخيانة، وكل فساد يحصل بسبب منعه فإثمه أولاً على المانع.

تقليل المهر
أمر مشروع تسهيلاً للزواج

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يقول:[1]

أرى ويرى الجميع أن الكثير من الناس يغالون في المهور ويطلبون عند تزويجهم بناتهم مبالغ كبيرة إضافة إلى بعض المشترطات الأخرى.

فهل هذه الأموال التي تؤخذ حلال أم حرام؟

ـ المشروع تخفيف المهر وتقليله وعدم المنافسة في ذلك عملاً بالأحاديث الكثيرة الواردة في ذلك وتسهيلاً للزواج وحرصاً على عفة الشباب والفتيات.

ولا يجوز للأولياء اشتراط أموال لأنفسهم لأنه لا حق لهم في ذلك، بل الحق للمرأة وحدها إلا الأب خاصة فله أن يشترط ما لا يضر البنت ولا يعوق تزويجها وإن ترك ذلك فهو خير له وأفضل وقد قال الله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وقال ﷺ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: «**خيرُ الصَّداقِ أيْسرُهُ**»[2].

وقال النبي ﷺ لما أراد أن يزوج بعض أصحابه امرأة وهبت

---

(١) جريدة المدينة، العدد (١١٤٩٣) بتاريخ (١٣) ربيع الآخر (١٤١٥هـ).

(٢) أخرجه أبو داود وصححه الحاكم.

نفسها له عليه الصلاة والسلام: «**التَمسْ ولو خاتماً من حَدِيد**»[1] فلما لم يجد، زوجَّهُ إياها على أن يعلمها من القرآن سوراً عددها الخاطب.

وكانت مهور نسائه ﷺ خمسمائة درهم، تعادل اليوم مائة وثلاثين ريالاً تقريباً، ومهور بناته أربعمائة درهم تعادل مائة ريال تقريباً.

وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكلما كانت التكاليف أقل وأيسر سهل إعفاف الرجال والنساء وقلت الفواحش والمنكرات وكثرت الأمة.

وكلما عظمت التكاليف وتنافس الناس في المهور قل الزواج وكثر السفاح وتعطل الشباب والفتيات إلا من شاء الله.

---

(١) من حديث طويل رواه البخاري ومسلم.

الدين والخلق
قادران على هزيمة العنوسة[1]

للشيخ/ عبد الله المنيع مكة المكرمة ـ موسى الأنصاري:

أكد فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع القاضي بهيئة التمييز بمكة المكرمة وعضو هيئة كبار العلماء أن الحد من العنوسة في مجتمعنا يتحقق بالامتثال لأمر الرسول ﷺ في قوله: «**يا معشر الشّباب من استَطاع منكُم الباءَةَ فَلْيتَزَوَّجِ فإنه أغضُّ للبَصرِ وأحْصَنُ للفرج**»[2] وفي قوله ﷺ: «**إذا أتَاكُم من ترضَوْنَ دينه وأمانته فزوِّجُوه إلا تفعلواْ تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفساد**»[3].

وأوضح فضيلته أن الحد من ظاهرة الطلاق يتحقق في الرجوع إلى العقل وتقدير الرجل اختصاصه الذي منحه الله تعالى إياه من حيث كمال العقل والقدرة على السيطرة على العواطف، والتبصر في العواقب.

وأضاف فضيلته ويجب أن يعمل الرجل على توفير جو عائلي تسوده الرأفة والرحمة والمودة والتعاون والتسامح والتجاوب في حدود معقولة وتقدير اختصاص كل واحد من أفراد الأسرة، وفي أولويات ذلك رسالة الزوجة في البيت فإذا قام الرجل بذلك انحسرت نسبة كبيرة جداً من الخلافات الزوجية، فإذا وجد نوع من الزوجات لا تؤثر فيهن هذه الأخلاق فإن للزوج حق تأديب زوجته بأمور تدرجية تبدأ بالعتاب،

---

(١) جريدة المدينة، الثلاثاء (١١) محرم (١٤١٧هـ)، العدد (١٢١٠١).

(٢) رواه الجماعة.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه.

القول بما ينفع ولا يضر ثم يهجر الزوجة من الكلام والملاطفة والمعاشرة الزوجية، فإذا لم يجد ذلك كله جدواه صار الأمر إلى ضربها ضرباً غير مبرح، لا يكون في وجه ولا فيما يخرج عن محيط التأديب.

وأشار فضيلته إلى العلاقات العاطفية بين الشباب والشابات وقال: أعتقد أن العلاقات العاطفية التي قد تنتهي بالزواج بين الشباب والشابات قد تنتهي بالانحراف والفساد، وإذا انتهت بالزواج فقد تكون نهاية الزواج الفشل.

من حيث إن الشكوك والظنون السيئة وانتفاء الثقة بين الزوجين ولا شك أن الشابة التي تحترم نفسها وتحافظ على كرامتها وسمعتها يجب أن تحافظ على عفافها وعلى حماية حمى عفافها حتى تكون محلاً للثقة والاحترام.

كيفية القضاء على ظاهرة العنوسة[1]

إن القضاء على ظاهرة العنوسة في مجتمعاتنا الإسلامية يتم بالقضاء على جذورها وأسبابها الناشئة عنها. وهنا: يمكن علاج تلك المشكلة بالتالي:

- نرغب الشباب في الزواج المبكر وطرد الخوف من الأذهان.

- شرع الله الزواج لما فيه من المحبة والشفقة والاستقرار وهدوء البال ولإشباع الغريزة التي بها يهدأ البدن من الإضطراب وتسكن النفس عن الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام وتطمئن العاطفة إلى ما أحله الله.

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا مَعْشَر الشَّبَابِ من اسْتَطَاع منكُم الباءَةَ فَلْيَتَزَوَّج فإنه أغضُّ للبَصَرِ وأحْصَنُ للفرجِ ومَنْ لم يَسْتَطِع فعَليه بالصَّومِ فإنه له وِجاء**»[2].

وتعني الباءة هنا: المعاني والشروط التالية التي يجب أن تتوفر فيمن يتزوج وهي (المؤهلات المادية: كالسكن المناسب وموارد الرزق

---

(١) مجلة منار الإسلام ص (١١٥).

(٢) رواه الجماعة.

والقدرة على الإنفاق، والنضج العاطفي، والنضج الفكري، وإدراك المسؤوليات، وحسن التدبير).

- على الفتاة وأولياء الأمور أن ييسروا في الزواج عند توافر الدين والخلق في الزوج المتقدم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتاكُم من ترضَوْن دينَه وخلقَه فزوجوه إلا تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرض وفَسَادٌ عرِيض»**[1].

(1) رواه الترمذي وابن ماجه.

آراء العلماء في
تأخير الزواج أو العزوف عنه[1]

من المنكرات العزوف عن الزواج بدون عذر بحجة إكمال الدراسة أو غيرها من الأعذار لتأمين المستقبل، وهذا القول لا ينبغي أن يصدر من مسلم، لأن بهذا القول كأنه هو الذي يرزق نفسه وكل إنسان رِزْقه على الله.

والعزوف عن الزواج مخالفة لأمر رسول الله ﷺ فالرسول ﷺ أمر بالنكاح ورغب فيه وحث عليه.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا مَعْشَر الشَّبَابِ من اسْتَطَاع منكُم الباءَةَ فَلْيَتَزَوَّج فإنه أغضُّ للبَصَرِ وأحْصَنُ للفرجِ ومنْ لم يَسْتَطِع فعَليه بالصَّومِ فإنه له وِجاء»**[2].

والعزوف عن الزواج ترك لسنة النبي ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ: قال بعضهم لا أتزوج، وقال بعضهم أصلي ولا أنام، وقال بعضهم أصوم ولا أفطر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«ما بال أقْوَام قَالُوا كذَا وكذَا، ولكني. أصومُ وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْس مني»**[3].

---

(١) منكرات الأفراح جمع وترتيب أبي عبد العزيز بن عبد الله.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

إن المرء بهذا العزوف ـ بالإضافة إلى مخالفة نبيه ﷺ ـ يسبب أضراراً بالغة بأسرته وبمجتمعه، فهل يرضى لأخته العنوسة والبوار، العنوسة في ألا يتقدم لها أي إنسان لعزوفه عن الزواج فيطول بها الأمر، ويسودها ظلام الانتظار وتكون العاقبة أن تَمُرَّ السنون تلو السنين بلا زواج، وهل يرضى البوار لأخته، فالأرض الطيبة تأتي بالنبت الصالح الطيب.

فهذه مهمتها، أما رسالة الفتاة أن تأتي للمجتمع بجيل صالح، يعرف ربه، ويهتدي بهدي نبيه، فتكثر الذرية وتقوى بها الأمة، وبها يرتفع علم الإسلام خفاقاً في كل مكان وتنتشر دعوة التوحيد.

أمَا يفكر الأخ... أو الأب... ممن يثيرون المشاكل ويضعون العقبات أمام مجتمعهم بحرمان أخواتهم أو بناتهم من الزواج.

[١] ـ رأي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في حرمة تأخير تزويج البنات والأخوات[١]:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يبلغه هذا الكتاب من المسلمين.

سلك الله بي وبهم صراطه المستقيم، وجعلنا جميعاً من حزبه المصلحين آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد أوجب على المسلمين التعاون على البر والتقوى، والتناصح في الله والتواصي بالحق والصبر عليه، ورتب على خير الدنيا والآخرة وصلاح الفرد والمجتمع والأمة.

---

(١) مجلة البحوث، المجلد الثاني، العدد الأول، عام (١٤٠٠هـ)، ص (٢٦٧، ٢٦٨).

وقد بلغني أن كثيراً من الناس قد يؤخرون تزويج مولياتهم من البنات والأخوات وغيرهنِ لأغراض غير شرعية كخدمة أهلها في رعي أو غيره، وكطلب الأكثر مالا . . . ولترضى عمَّن يناسبها من بني عمها وغيرهم.

وكذلك من يؤخر زواجها من أجل أن يأخذ بها زوجة له وتأخير زواج المولية لهذه الأسباب ونحوها من الأمور المحرمة ومن الظلم للموليات من البنات وغيرهن قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

والأيامى جمع أيِّم، يقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له، يقال امرأة أيم ورجل أيم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: رغبهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى.

فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ﴾ [النور: ٣٢].

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا خطَبَ إليكُم من ترضَوْن دِينَه وخُلُقَه فزَوِّجُوه إلا تفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفسَادٌ عَرِيض**».

وروى الترمذي أيضاً عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه فأَنْكِحُوه إلا تَفْعَلوا تَكُنِ فتْنَةٌ في الأرضِ وفَسَادٌ**».

قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه.

قال: «**إذا جاءَكُمْ مَنْ تَرَضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه فأَنكِحُوه**» (ثلاث مرات).

وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح عباده، وأن يعيذنا جميعاً من شر أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه جواد كريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٢] - رأي الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين فيمن ترفض الزواج بحجة الدراسة[1] يقول الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين:

إنَّ حكم ذلك أنه خلاف أمر النبـي ﷺ. فإن النبـي ﷺ قال: «**إذا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دينَه وخُلُقَه فَأَنْكِحُوه إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فتْنَةٌ في الأرضِ وَفَسَاد**»[2].

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَر الشَّبَابِ من اسْتَطَاع مِنْكُمْ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّج فإِنَّه أغَضُّ للبَصَرِ وأحْصَنُ للفَرْج**»[3].

وفي الامتناع عن الزواج تفويت لمصالح الزواج، فالذي أنصح به إخواني المسلمين من أولياء النساء، وأخواتي المسلمات من النساء ألا يمتنعن عن الزواج من أجل تكميل الدراسة أو التدريس، وبإمكان المرأة أن تشترط على الزوج أن تبقى في الدراسة حتى تنتهي دراستها، وكذلك أن تبقى مدرسة لمدة سنة أو سنتين ما دامت غير مشغولة بأولادها، وهذا لا بأس به.

على أن كَوْنُ المرأة ترقى في العلوم الجامعية مما ليس لنا به حاجة، أمر يحتاج إلى نظر، فالذي أراه أن المرأة إذا أنهت المرحلة الابتدائية وصارت تعرف القراءة والكتابة بحيث تنتفع بعلم هذا في قراءة كتاب الله وتفسيره، وقراءة أحاديث النبـي ﷺ وشرحها، فإن ذلك كاف

---

(١) من رسالة أجوبة أسئلة مهمة.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) متفق عليه.

اللهم إلا أن تترقى لعلوم لا بد للناس منها كعلم الطب وما أشبهه، إذا لم يكن في دراستها شيء من محظور من اختلاط أو غيره.

[٣] رأي الشيخ البليهي[1]:

بعض الفتيات ـ حفظهن الله ـ تقول ما لا ينبغي أن يقال.

تقول: لا أتزوج حتى أكمل الدراسة فإذا كانت ما بلغت أو بلغت في وقت قريب فلا مانع من ذلك، أما إذا بلغت ومضى لها سنون عديدة، فلا أحب للفتاة أن تمتنع من الزواج من أجل تكميل الدراسة، ولربما بعض الدروس التي تعانيها لا تناسب شخصيتها.

وكم من فتاة إذا تأخر زواجها، فأكثر الناس لا رغبة لهم فيها.

---

(١) من كتاب يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تخدعي.

دور المسجد وما يجب أن يكون عليه في حل مشكلة العنوسة

[١] ـ أن يكون مفروشاً بفراش مناسب لجلال المسجد وللمعنى الديني الذي يؤدى فيه.

[٢] ـ أن يزوَّد المسجد بمكبر للصوت لإعلام الناس بالأوقات وإذاعة الخطب والمحاضرات لينتفع بها أكبر عدد من الناس.

[٣] ـ أن يزوَّد بهاتف لتمام اتصاله بالحي واتصال الحي به.

[٤] ـ أن يخصص فيه مكان للسيدات لأداء الصلاة ـ وصلاتهن في بيوتهن أفضل لما ورد في الحديث الشريف لكنهن قد يرغبن في صلاة الجماعة للاستفادة من خطب الجمعة والدروس قال ﷺ: «**لا تمنَعُوا النسَاءَ أن تخرجْنَ إلى المسَاجد وبيُوتُهن خيرٌ لهن**»[١].

[٥] ـ أن تلحق بالمسجد مكتبة مزودة بالكتب الدينية والثقافية الهامة يشرف بها أمين مكتبة مختص لتيسير إطلاع الجمهور عليها داخل المسجد وخارجه.

[٦] ـ تلحق بالمسجد قاعة لإقامة المناسبات والأفراح.

[٧] ـ أن تلحق به وحدة علاجية مبسطة للحالات العاجلة.

[٨] ـ تلحق به ساحة لممارسة الألعاب الرياضية المفيدة.

[٩] ـ يلحق به مكتب لتحفيظ القرآن الكريم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده وأبو داود في السنن.

[١٠] ـ يلحق به مكان لتعليم الأميين القراءة والكتابة.

[١١] ـ يخصص فيه حجرة لفض المنازعات صوناً للسرية ومنعاً لما قد يحدث من تشويش على الحاضرين بالمسجد.

[١٢] ـ أن يكون فيه صندوق للشكاوى والاستسفارات وما إليها.

[١٣] ـ أن تلحق به استراحة للزائرين أو لمن يحتاج الأمر إلى إقامتهم بعض الوقت فيه على غرار الصفة التي كانت في مسجد النبي ﷺ.

[١٤] ـ يلحق به صندوق لجمع التبرعات واستقبال الزكاة والهبات والمساعدات وصرفها على المستحقين بعد إجراء الدراسات اللازمة.

[١٥] ـ لجنة للتوفيق في الزواج والصلح في حالات الطلاق.

ومعنى التوفيق في الزواج نوضحه بالتالي:

[١] ـ عمل حصر لبنات الحي وشبابه.

[٢] ـ الاتفاق مع الشباب الذي يريد الزواج عند اختيار إحدى بنات الحي.

[٣] ـ في حالة وجود بنت عانس يمكن عرضها على أحد شباب الحي بدون إحراج لها أو لعائلتها.

[٤] ـ مساعدة من يريدون الزواج بتقديم قرض حسن لهم، أو جمع هدايا عينية من أهل الحي لمساعدتهم.

[٥] ـ عرض بنات الحي على شباب الأحياء الأخرى أو على شباب المدن الأخرى ممن يُرى فيهم حسن الخلق والدين.

[٦] ـ مساعدة العروسين في إقامة حفلة الزواج، ويمكن أن تكون حفلة الزواج في أحد منازل أثرياء الحي الكبيرة.

[٧] ـ الاتصال بالإخوة الكرام في المساجد الأخرى الذين يقومون بذلك العمل وتبادل المعلومات.

[٨] ـ الاتصال بالإخوة في المدن الأخرى الذين يقومون بمثل ذلك العمل لتبادل المعلومات وعلى سبيل المثال جريدة «المسلمون» باب نصف الدين.

[٩] ـ في حالة العروسة الفقيرة تقوم سيدات الحي الموسرات بتقديم كل عون للعروسة وعلى سبيل المثال إقراضها فستان الفرح وعمل (المكياج) وخلافه لها ليلة العرس.

[١٠] ـ في صبيحة يوم العرس تقوم سيدات الحي بجمع مبالغ من المال ومجموعة من الهدايا العينية لتقديمها للعروسة لمساعدتها على بداية حياتها الزوجية في أحسن حال.

مراجع الكتاب

(١) ـ **القاموس المحيط**: للفيروزآبادي.

(٢) ـ **عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام**: الشيخ عبد الله ناصح علوان.

(٣) ـ **مجلة «منار الإسلام»**.

(٤) ـ **جريدة المدينة**: العدد ١١٨٦٦، الصادر في يوم الأحد ٧ من جمادى الأولى سنة ١٤١٦هـ، الموافق ١ من أكتوبر سنة ١٩٩٥م.

(٥) ـ **جريدة «المسلمون»**: العدد ٥٩٢، الصادر ٢١ محرم ١٤١٧هـ، الموافق ٧ من يونيه سنة ١٩٩٦م.

(٦) ـ **جريدة «المسلمون»**: العدد ٥٩٣، الجمعة ٢٨ من محرم ١٤١٧هـ، الموافق ١٤ يونيه ١٩٩٦م.

(٧) ـ **جريدة «المسلمون»**: العدد ٥٨٩، الجمعة ٢٩ من ذي الحجة، الموافق ١٤١٦هـ ١٧ مايو ١٩٩٦م.

(٨) ـ **جريدة المدينة**: ١٢١٠٦ الصادر بتاريخ الأحد ١ من محرم سنة ١٤١٧هـ.

(٩) ـ **السعادة الزوجية في الإسلام**: للأستاذ/ محمود الصباغ.

(١٠) ـ **مجلة «النور»**: العدد ١١٨، ربيع الأول ١٤١٥هـ.

(١١) ـ **جريدة «المسلمون»**: العدد ٤٢٧، في سنة ١٤١٦هـ.

ـ **جريدة «المسلمون»**: العدد ٥٩٤، الجمعة ٥ صفر سنة ١٤١٧هـ.

(١٢) ـ **جريدة المدينة**: الأحد ١٤ صفر سنة ١٤١٧هـ، الموافق ٣٠ يونيه سنة ١٩٩٦م، العدد ١٣٣٤.

ـ **جريدة المدينة**: العدد ٩٦١١/ ١٤١٤هـ.

(١٣) ـ مجلة (الإصلاح): العدد ٢٨٦ ـ ٢٨/ ٤/ ٥/ ١٩٩٤م.
(١٤) ـ **مجموعة امرأة في الظلال**: الدكتور/ محمد عبده يماني.
(١٥) ـ **جريدة المدينة**: العدد ٢٠٢٨١، في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٤١٥هـ.
(١٦) ـ **جريدة المدينة**: العدد ١١٥٩١، في الأحد ٢٣ رجب سنة ١٤١٥هـ.
(١٧) ـ جريدة «المسلمون»: بتاريخ ٩/ ٥/ ١٤١٥هـ.
(١٨) ـ **مجلة «منار الإسلام»**: للأستاذ/ رفعت محمد طاحون ص ١١٥.
(١٩) ـ منكرات الأفراح: جمع وترتيب أبي عبد العزيز بن عبد الله.
(٢٠) ـ **مجلة «البحوث»**: المجلد الثاني، العدد الأول عام ١٤٠٠هـ، ص ١٦٧ و١٦٨.
(٢١) ـ **كتاب «يا فتاة الإسلام»**: اقرئي حتى لا تخدعي.
(٢٢) ـ **مجلة الأسرة**: «ذي القعدة ١٤١٥هـ».
(٢٣) ـ **مجلة الأسرة**: «جمادى الآخرة ١٤١٧هـ» ص ٢٨، نها العتيبي.
(٢٤) ـ **مجلة النور**: العدد ١٤٠، سبتمبر ١٩٩٦، الأستاذ/ محمد رشيد العويد.
(٢٥) ـ **مجلة الأسرة**: ذي القعدة ١٤١٥هـ، ص ٤٦، حاتم أحمد، أحمد التميمي.

الفهرس